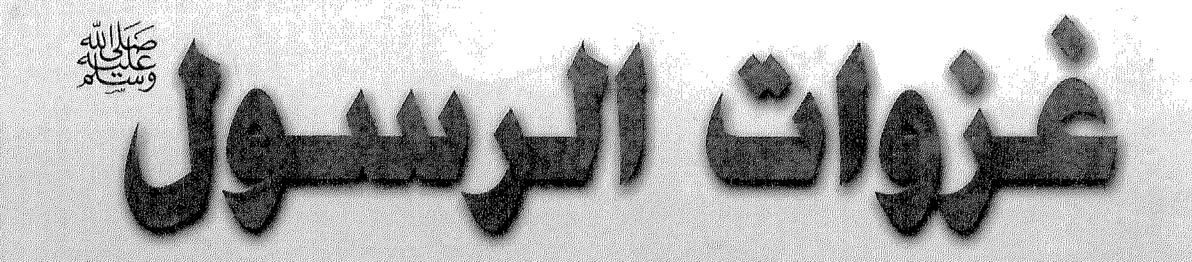


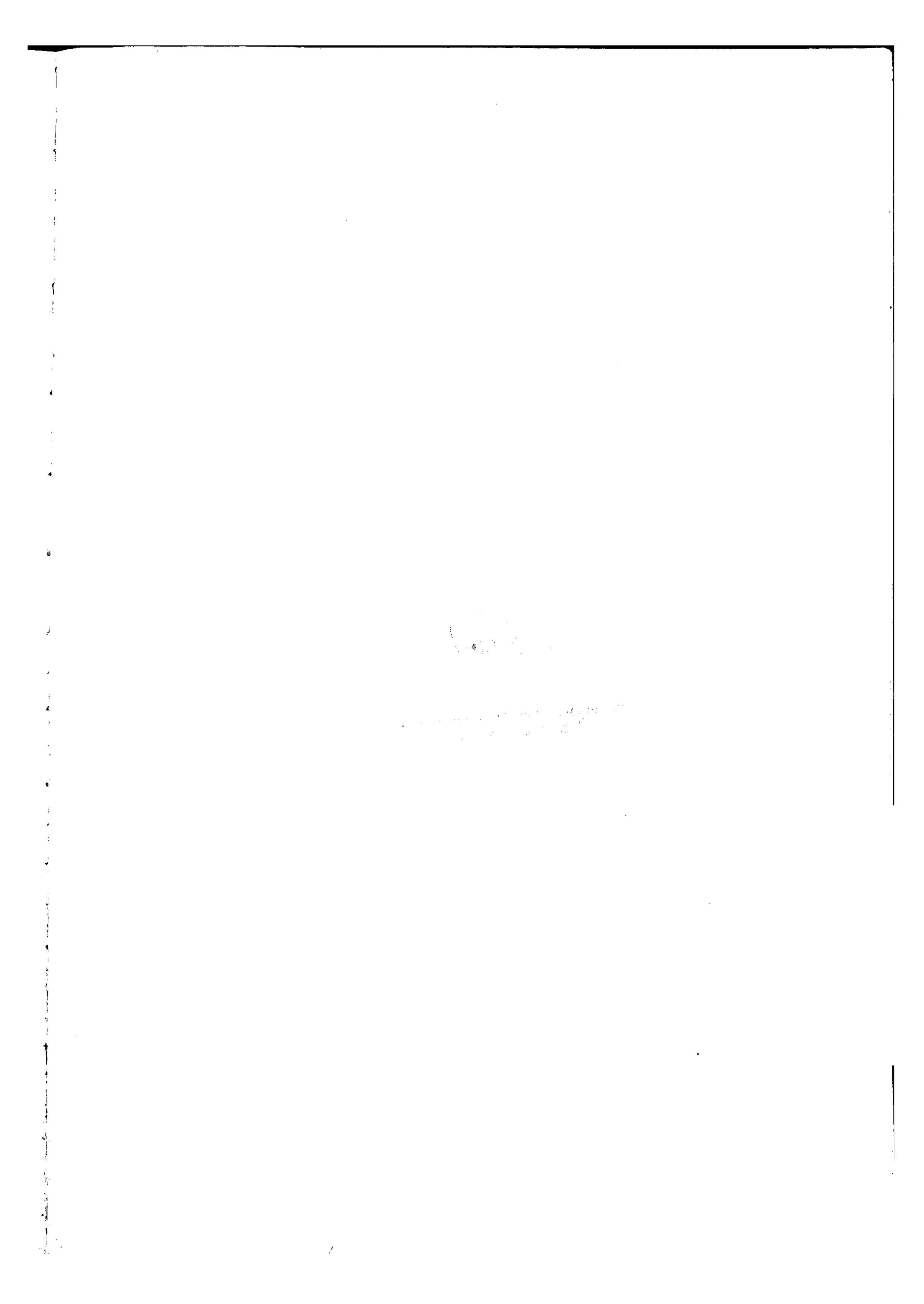
اعداد

عبد الحميد شاكر

جروس برس



غزوات الرسول ﷺ



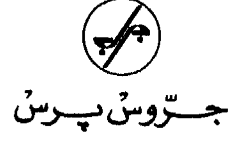
غزوات الرسول ﷺ

إعداد
عبد الحميد شاكر



جروس برس

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م



جروس برس

فاكس: ٧٨٢٢٧٩٠ - ٤ - ٢١٢ - ٠٠١
ص.ب. ١٨٩ طرابلس - لبنان

المقدمة

هذا الكتاب حلقة من سلسلة كتب تتناول حياة الرسول (ﷺ)، وقد صدر منها حتى الآن:

١- وصايا الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين.

٢- رسائل الرسول (ﷺ).

٣- خطب الرسول (ﷺ).

٤- نساء الرسول (ﷺ) وأولاده.

وفي هذا الكتاب، كسابقيه، تبعنا منهج النقل عن الكتب التاريخيّة القديمة التي تُعدّ مصادر في بابها، وكان أكثر اعتمادنا على كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير مستعينين بكتاب «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزيّ، و«تاريخ الطبريّ تاريخ الأمم والملوك» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ، وكتاب «السيرة النبويّة» لابن هشام.

وقد خصّصنا لكلّ غزوة فصلاً، مقدّمين فصلاً عن مجمل غزوات الرسول كما كتبها ابن الأثير والطبريّ، ومرتّبين الفصول بحسب تواريخ الغزوات التي تتضمَّنها، ومُثبتين في كلّ فصل بعض المصادر التي ذكرت الغزوة التي نكون بصددها.

وآمل أن أكون قد وُفِّقت في نقل جزء من أهمّ تاريخنا الإسلاميّ والعربيّ من بطون المصادر التاريخيّة في هذا الكتاب السهل الاقتناء والتبويب والقراءة، والله وليّ التوفيق.

الفصل الأوّل:

غزوات الرسول (ﷺ)

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ في كتابه «تاريخ الأمم والملوك» المعروف بـ«تاريخ الطبريّ». قال:

قال أبو جعفر: وكانت غزواتُه بنفسه ستًّا وعشرين غزوة؛ ويقول بعضهم: هنّ سبع وعشرون غزوة؛ فمن قال: هي ستٌّ وعشرون، جعلَ غزوة النبيّ (ﷺ) خيبر وغزوته من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة؛ لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله، ولكنه مضى منها إلى وادي القرى؛ فجعل ذلك غزوة واحدة. ومن قال: هي سبع وعشرون غزوة، جعل غزوة خيبر غزوةً، وغزوة وادي القرى غزوة أخرى؛ فيجعل العدد سبعًا وعشرين. حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر، قال: كان جميع ما غزا رسول الله (ﷺ) بنفسه ستًّا وعشرين غزوة. أول غزوة غزاها وَدَّان؛ وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بُوَاط إلى ناحية رَضْوَى، ثم غزوة العُشيرة من بطن يَنْبُع، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كُرْز بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى التي قتل بها صناديد قريش وأشرافهم، وأسَر فيها مَنْ أسر، ثم غزوة بني سُليم حتى بلغ الكُدْر؛ ماء لبني سُليم، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان حتى بلغ قرقرة الكُدْر، ثم غزوة غَطفان إلى نجد؛ وهي غزوة ذي أَمَر؛ ثم غزوة بَحْران؛ معدن بالحجاز من فوق الفُرع، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة

بني النّضير، ثم غزوة ذات الرّقاع من نخل، ثم غزوة بدْر الآخرة، ثم غزوة دُومة الجنْدل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُريظة، ثم غزوة بني لِحْيان من هُذَيل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المصطلِق من خُزاعة، ثم غزوة الحديبيَة - لا يريد قتالًا، فصدّه المشركون - ثم غزوة خيبر، ثم اعتمر عُمرة القضاء، ثم غزوة الفتح، فتح مكة، ثم غزوة حُنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك. قاتل منها في تسع غزوات: بدْر، وأحُد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحُنين، والطائف.

حدّثنا الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: حدّثنا محمد بن عمر، قال: حدّثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثْمة، عن أبيه، عن جدّه، قال: غَزا رسول الله (ﷺ) ستًّا وعشرون غزوة.. ثم ذكر نحو حديث ابن حُميد، عن سَلَمة.

قال محمد بن عمر: مغازي رسول الله معروفة مجتمع عليها، ليس فيها اختلاف بين أحد في عددها؛ وهي سبع وعشرون غزوة؛ وإنما اختلفوا بينهم في تقديم مغزاة قبل مغزاة.

حدثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: حدّثني محمد بن عمر، قال: حدّثنا مُعاذ بن محمد الأنصاريّ، عن محمد بن ثابت الأنصاريّ، قال: سئِل ابن عُمر: كَمْ غزا رسول الله (ﷺ)؟ قال: سبعا وعشرين غزوة، فقيل لابن عمر: كم غزوتَ معه؟ قال: إحدى وعشرين غزوة؛ أوّلها الخندق، وفاتني ستّ غزوات، وقد كنت حريصًا، قد عرضت على النبي (ﷺ)؛ كلّ ذلك يردّني فلا يجيزني حتى أجازني في الخندق.

قال الواقديّ: قاتلَ رسولُ الله (ﷺ) في إحدى عشرة، ذكر من ذلك التسع التي ذكرتها عن ابن إسحاق؛ وعدّ معها غزوة وادي القرى، وأنه قاتل

فيها فقُتل غلامه مِدْعَم، رُمِي بسهم. قال: وقاتل يوم الغابة، فقتل من المشركين، وقُتل مُحْرزُ بن نضلة يومئذ.

واختلف في عدد سراياهُ (ﷺ)، حدّثنا محمد بن حُميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر، قال: كانت سرايا رسولِ الله (ﷺ) وبعوثه - فيما بين أن قدِم المدينة وبين أن قبضه الله - خمسًا وثلاثين بعثًا وسريَّة: سريّة عُبَيدة بن الحارث إلى أحياء من ثنيّة المَرَة، وهو ماء بالحجاز، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العِيص - وبعض الناس يقدِّم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة - وغزوة سعد بن أبي وقّاص إلى الخَرَّار من أرض الحجاز، وغزوة عبدالله بن جحش إلى نخلة، وغزوة زيد بن حارثة القَرْدَة، ماء من مياه نجد؛ وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثِدِ الغَنَوي الرّجيع، وغزوة المنذر بن عمرو بئر مَعُونة، وغزوة أبي عبيد بن الجرَّاح إلى ذي القَصة من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخطاب تُرَبَة من أرض بني عامر، وغزوة عليّ بن أبي طالب اليمن، وغزوة غالب بن عبدالله الكلبيّ - كلب ليث - الكَدِيدَ، وأصاب بلْمُلوّح، وغزوة عليّ بن أبي طالب إلى بني عبدالله بن سعد من أهل فَدَك، وغزوة ابن أبي العَوْجاء السُّلَميّ أرض بني سُلَيم؛ أصيب بها هو وأصحابه جميعًا، وغزوة عُكَاشة بن مِحْصن الغَمْرَة، وغزوة أبي سَلمة بن عبد الأسد قَطَنًا؛ ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد قُتل فيها مسعود بن عروة، وغزوة محمد بن مسلمة؛ أخي بني الحارث إلى القُرَطاء من هوازن، وغزوة بشير بن سعد إلى بني مُرَّة بفَدَك، وغزوة بشير بن سعد أيضًا إلى يُمْن وجِنَاب؛ بلد من أرض خيبر - وقيل يُمْن وجَبَار؛ أرض من أرض خيبر، وغزوة زيد بن حارثة الجَمُومَ؛ من أرض بني سليم، وغزوة زيد بن حارثة أيضًا جُذَام من أرض حِسْمَى - وقد مضى ذكر خبرها قبل - وغزوة زيد بن

حارثة أيضًا وادي القُرى، لقيَ بني فَزارة.

وغزوة عبد الله بن رواحة خَيْبَرَ مَرّتين: إحداهما التي أصاب الله فيها يُسَيْر بن رزام - وكان من حديث يُسير بن رزام اليهوديّ أنه كان بخيبر يجمع غَطَفَان لغزو رسولِ الله (ﷺ)، فبعث إليه رسولُ الله عبدالله بن رواحة في نفر من أصحابه؛ منهم عبدالله بن أَنيْس حليف بني سَلِمة، فلمّا قدِموا عليه كلّموه وواعدوه وقرّبوا له، وقالوا له: إنك إن قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفرٍ من يهود؛ فحمله عبدالله بن أنيْس على بعيره وردفه حتى إذا كان بالقَرْقرة من خيبر على ستّة أميال ندِم يُسير بن رِزام على سيره إلى رسول الله، ففَطِن له عبدالله بن أَنيس وهو يريد السَّيف؛ فاقتحم به؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجْله وضربه يُسَيْر بِمخرَش في يده من شَوْحط، فأمَّه في رأسه، وقتل الله يُسيرًا؛ ومال كلّ رجل من أصحاب رسولِ الله (ﷺ) على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحدًا أفلت على راحلته؛ فلمّا قدم عبدالله بن أَنيس على رسول الله (ﷺ) تفل على شجَّتِه فلم تَقِح ولم تؤذِه.

وغزوة عبد الله بن عَتِيك إلى خيبر؛ فأصاب بها أبا رافع، وقد كان رسول الله (ﷺ) بعث محمد بن مسلمة وأصحابه - فيما بين بدر وأحد - إلى كعب بن الأشرف فقتلوه، وبعث رسول الله (ﷺ) عبدالله بن أَنيس إلى خالد بن سُفيان بن نُبَيح الهُذليّ - وهو بنخلة أو بعُرنَة - يجمع لرسول الله ليغزوَه، فقتله.

وغزوة غالب بن عبد الله الكلبيّ - كلبِ ليث - أرض بني مُرَّة؛ فأصاب بها مرداس بن نَهِيك؛ حليفًا لهم من الحُرْقة من جُهينة، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار، وهو الذي قال فيه النبيّ (ﷺ) لأسامة: مَنْ لك

بلا إله إلا الله!

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل، وغزوة ابن أبي حَدْرَد وأصحابه إلى بطن إضَم، وغزوة ابن أبي حَدْرد الأسلميّ إلى الغابة، وغزوة عبد الرحمن بن عوف.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرَنا إسرائيل، عن أبي إسحاق الهمْدانيّ، قال: قلت لزيد بن أرقم: كم غزوتَ مع رسولِ الله (ﷺ)؟ قال: سبع عشرة غزوة، قلت: كم غزا رسولُ الله (ﷺ)؟ قال: تسع عشرة غزوة. قال الحارث: قال ابنُ سعد: قال الواقديّ: فحدّثت بهذا الحديث عبدَالله بن جعفر، فقال: هذا إسناد أهلِ العراق؛ يقولون هكذا؛ وأوّل غزوة غزاها زيد بن الأرقم المُرَيْسيع؛ وهو غلام صغير، وشهد مُؤتة رديف عبدالله بن رَوَاحة؛ وما غزا مع النبي (ﷺ) إلا ثلاث غزوات أو أربعًا.

وروِي عن مكحول في ذلك ما حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا ابنُ عمر، قال: حدّثني سُويد بن عبد العزيز، عن النعمان بن المنذر، عن مكحول، قال: غزا رسولُ الله (ﷺ) ثمانيَ عشرة غزوة، قاتل من ذلك في ثمانِ غزوات أوّلهنّ بدر وأحُد والأحزاب وقريظة.

قال الواقديّ: فهذان الحديثان: حديث زيد بن الأرقم، وحديث مكحول جميعًا غلَط.

* * *

غزوة الأبواء[1]

هي أوّل غزوة غزاها رسول الله (ﷺ) بنفسه، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة، وخرج في المهاجرين فقط حتى بلغ «الأبواء» يعترض لعير قريش حتى بلغ «ودان» - ولذلك يقال لها أيضًا غزاة «ودان» - ولم يلقَ كيدًا، فوادع مخشيّ بن عمرو الضمري - وهو سيد بني ضمرة - على أن لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه، ولا يعينوا عليه، فكتب بذلك بينهم وبينه كتابًا - وضمرة من بني كنانة - ثم انصرف رسول الله (ﷺ) وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

* * *

---

(١) انظر:
- المغازي للواقدي ١/ ١١-١٢.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٨٨-٨٩.
- سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٣ .
- البداية والنهاية ٣/ ٢٤٠ .

غزوة بُواط(1)

خرج إليها رسول الله (ﷺ) في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة على رأس ثلاثة عشر شهرًا من الهجرة، وحمل لواءه سعد بن معاذ، وخرج في مائتين من الصحابة يعترض عير قريش، وكان فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ «بُواط» - وهي جبال «جُهينة» من ناحية «رضوى» وهو قريبٌ من «ذي خُشُب» مما يلي طريق الشام، وبين «بواط» و«المدينة» نحو من أربعة برد - فلم يلق كيدًا، فرجع إلى المدينة.

* * *

(1) انظر:
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٨٩.
- المغازي للواقدي ١/ ١٢.
- سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠ .
- البداية والنهاية ٣/ ٢٤٥ .

غزوة طلب كرز بن جابر الفهريّ[1]
أو غزوة بدر الأولى

لم يمضِ إلّا ليالٍ حتى أغار كرز بن رجاء الفهريّ على إبل ومواشي المدينة، فخرج رسول الله (ﷺ) في طلبه، واستخلف زيد بن حارثة على المدينة، ومضى حتى بلغ «سفَوان» وهو وادٍ، وفاته كرز، فرجع إلى المدينة.

وفيها: ولد النعمان بن بشير بعد الهجرة بأربعة عشر شهرًا في ربيع الآخر.

* * *

(١) انظر:
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٨٩-٩٠.
- المغازي للواقدي ١/ ١٢.
- سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣ .
- البداية والنهاية ٣/ ٢٤٦ .

غزوة ذي العشيرة[1]

وفي السنة الثانية للهجرة أيضًا كانت غزاة ذي العشيرة في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرًا من الهجرة، وخرج رسول الله (ﷺ) في خمسين ومائة راكب - وقيل: في مائتين - من المهاجرين، ولم يكره أحدًا على الخروج، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، ومضى يعترض لعير قريش، وكانوا قد بعثوا فيها أموالهم، فبلغ «ذا العشيرة» - وهي لبني مُدْلِج بناحية «يَنبُع»، وبينها وبين المدينة تسعة بُرُد، ففاتته العير، وهي العير التي رجعت من الشام، فخرج لطلبها، وخرجت قريش تمنعها، فكانت وقعة «بدر» وبذي العشيرة كَنَّى عليًا: أبا تراب؛ لأنه رآه نائمًا على التراب فقال: «اجلس أبا تراب».

وقد روي أن ذلك كان بالمدينة، رآه نائمًا في المسجد على التراب.

وفي غزاة ذي العشيرة وادع مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع ولم يلق كيدًا.

* * *

(١) انظر:
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٩٠.
- المغازي للواقدي ١/ ١٢-١٣.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٤ .

غزوة بدر الكبرى(1)

وفي السنة الثانية كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان في السابع عشر، وقيل التاسع عشر، وكانت يوم الجمعة.

وكان سببها قتل عمرو بن الحضرميّ وإقبال أبي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون رجلاً أو أربعون، وقيل: قريبًا من سبعين رجلاً من قريش، منهم: مَخْرمة بن نَوْفل الزُّهْريّ، وعمرو بن العاص، فلمّا سمع بهم رسول الله، (ﷺ)، ندب المسلمين إليهم وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله أن ينفِّلكموها. فانتدب الناس، فخفَّ بعضهم وثقل بعضهم، وذلك لأنّهم ما ظنّوا أنّ رسول الله، (ﷺ)، يلقى حربًا.

وكان أبو سفيان قد سمع أن النبيّ، (ﷺ)، يريده، فحذر واستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغفاريّ فبعثه إلى مكّة يستنفر قريشًا ويخبرهم الخبر،

(1) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١١٦-١٣٧.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٩٧.
- المغازي للواقدي ١/ ١٩.
- تاريخ الطبري ٢/ ٢٠ .
- سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٩ .
- البداية والنهاية ٣/ ٢٥٥ .

فخرج ضمضم إلى مكّة.

وكانت عاتكة بنت عبد المطّلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكّة بثلاث ليالٍ رؤيا أفزعتها فقصّتها على أخيها العبّاس واستكتمته خبرها، قالت: رأيت راكبًا على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثمّ صرخ بأعلى صوته: أن انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث! قالت: فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثمّ دخل المسجد، فمثل بعيره على الكعبة، ثمّ صرخ مثلها، ثمّ مثل بعيره على رأس أبي قُبَيْس فصرخ مثلها، ثمّ أخذ صخرة عظيمة وأرسلها، فلمّا كانت بأسفل الوادي ارفضّت فما بقي بيت من مكّة إلّا دخله فلقة منها.

فخرج العبّاس فلقي الوليدَ بن عُتْبة بن ربيعة، وكان صديقه، فذكرها له واستكتمه ذلك، فذكرها الوليد لأبيه عُتبة، ففشا الخبر، فلقي أبو جهل العبّاس فقال له: يا أبا الفضل أقبل إلينا. قال: فلمّا فرغتُ من طوافي أقبلتُ إليه، فقال لي: متى حدثت فيكم هذه النبيّة؟ وذكر رؤيا عاتكة، ثمّ قال: ما رضيتم أن تتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم! فسنتربّص بكم هذه الثلاث فإن تكن حقًّا وإلّا كتبنا عليكم أنّكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العبّاس: فما كان منّي إلّا أنّي جحدتُ ذلك وأنكرتُهُ، فلمّا أمسيتُ أتاني نساء بني عبد المُطّلب وقلنَ لي: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم وقد تناول نساءكم ولم تُنكر عليه ذلك! قال قلت: والله كان ذلك، ولأتعرّضنّ له، فإن عاد كفيتكموه. قال: فغدوتُ اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أحبّ أن أدركه فرأيتُه في المسجد فمشيتُ نحوه أتعرّض له ليعود فأُوقع به، فخرج نحو باب المسجد يشتدّ، قال قلتُ: ما باله قاتله الله! أكلّ هذا فرقًا من أن أشاتمه! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع،

صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفًا على بعيره قد جدّعه وحوّل رحله وشقّ قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض له محمّد وأصحابه، لا أدري إن تدركوها، الغوثَ الغوثَ! فشغلني عنه وشغله عني.

قال: فتجهّز الناس سراعًا ولم يتخلّف من أشرافهم أحدٌ إلّا أبا لهَب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المُغيرة، وعزم أميّة بن خلَف الجُمَحيّ على القعود، فإنّه كان شيخًا ثقيلًا بطيئًا، فأتاه عُقْبَة بن أبي مُعَيْط بمجمرة فيها نار وما يتبخّر به وقال: يا أبا عليّ استجمر، فإنّما أنت من النساء. فقال: قبّحك الله وقبّح ما جئتَ به! وتجهّز وخرج معهم. وعزم عُتبة بن ربيعة أيضًا على القعود فقال له أخوه شَيْبة: إن فارقنا قومنا كان ذلك سُبَّة علينا، فامضِ مع قومك، فمشى معهم.

فلمّا أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كِنانة بن الحارث فخافوا أن يؤتوا من خلفهم، فجاءهم إبليس في صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلجيّ، وكان من أشراف كنانة، وقال: أنا جار لكم فاخرجوا سراعًا. وكانوا تسعمائة وخمسين رجلًا، وقيل: كانوا ألف رجل، وكانت خيلهم مائة فرس، فنجا منها سبعون وغنم المسلمون ثلاثين فرسًا، وكان مع المشركين سبعمائة بعير.

وكان مسير رسول الله، (ﷺ)، لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، وقيل أربعة عشر، وقيل بضعة عشر رجلًا. وقيل ثمانية عشر، وقيل كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين، وقيل ثلاثة وثمانون والباقون من الأنصار، فقيل: جميع من ضرب له رسول الله، (ﷺ)، بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلًا، ومن الأوس أحد

وسبعون رجلًا، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلًا، ولم يكن فيهم غير فارسَين، أحدهما المِقداد بن عمرو الكنديّ، ولا خلاف فيه، والثاني قيل كان الزّبَير بن العوامّ، وقيل كان مَرْثد بن أبي مرثد، وقيل المِقداد وحده، وكانت الإبل سبعين بعيرًا، فكانوا يتعاقبون عليها البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين النبيّ، (ﷺ)، وعليّ وزيد بن حارثة بعير، وبين أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عَوْف بعير، وعلى مثل هذا. وكان فرس المِقداد اسمه سبحة، وفرس الزّبير اسمه السَّيْل، وكان لواؤه مع مُصْعب بن عُمَير بن عبد الدار، ورأيته مع عليّ بن أبي طالب، وعلى الساقة قيس بن أبي صَعْصعَة الأنصاريّ.

فلمّا كان قريبًا من الصفراء بعث بَسْبَس بن عمرو وعديّ بن أبي الزَّغْباء الجُهَنيّين يتجسّسان الأخبار عن أبي سفيان، ثمّ ارتحل رسول الله، (ﷺ)، وترك الصفراء يسارًا، وعاد إليه بَسْبس بن عمرو يُخْبره أنّ العير قد قاربت بدرًا، ولم يكن عند رسول الله، (ﷺ)، والمسلمين علم بمسير قريش لمنع عِيرهم، وكان قد بعث عليًّا والزّبَير وسعدًا يلتمسون له الخبر ببدر، فأصابوا راوية لقريش فيهم أسلم غلام بني الحجحاج وأبو يسار غلام بني العاص. فأتوا بهما النبيّ، (ﷺ)، وهو قائم يصلّي، فسألوهما، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما وضربوهما ليُخْبروهما عن أبي سفيان. فقالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وفرغ رسول الله، (ﷺ)، من الصلاة وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، إنّهما لقريش، أخبراني أين قريش؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصْوى. فقال رسول الله، (ﷺ)، : كم القوم؟ قالا: كثير. قال: كم عدّتهم؟ قال: لا ندري. قال: كم ينحرون؟ قالا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا. قال: القوم بين تسعمائة إلى الألف.

ثمّ قال لهما: فمَنْ فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة، والوليد وأبو البَختريّ بن هشام، وحَكيم بن حزام، والحارث بن عامر، وطُعَيمة بن عديّ، والنضر بن الحارث، وزَمَعَة بن الأسود، وأبو جهل، وأُميّة بن خَلَف، ونُبَيه ومُنبّه ابنا الحجّاج، وسُهَيل بن عمرو، وعمرو بن عبد وَدّ.

فأقبل رسول الله، (ﷺ)، على أصحابه وقال: هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كَبِدها. ثمّ استشار أصحابه، فقال أبو بكر فأحسن، ثمّ قال عمر فأحسن، ثمّ قام المِقْداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امضِ لِما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1]؛ ولكن اذهبْ أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحقّ لو سِرْتَ بنا إلى بِرْك الغِماد، يعني مدينة الحبشة، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فدعا لهم بخير ثمّ قال رسول الله، (ﷺ): أشيروا عليّ أيّها النّاس؛ وإنّما يريد الأنصار لأنّهم كانوا عدد الناس، وخاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلّا مِمّن دَهِمَه بالمدينة وليس عليهم أن يسير بهم. فقال له سعد بن مُعاذ: لكأنّك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجلْ. قال: قد آمنّا بك وصدّقناك وأعطيناك عهودنا، فامضِ يا رسول الله لما أُمِرت، فوالذي بعثك بالحقّ إن استعرضتَ بنا هذا البحر فخُضتَه لنخوضنّه معك وما نكره أن تكون تلقى العدوّ بنا غدًا، إنّا لَصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعلّ الله يُريك منّا ما تقرّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله!

فسار رسول الله، (ﷺ)، فقال: أبشروا فإنّ الله قد وعدني إحدى

(١) سورة المائدة: آية ٢٤.

الطائفَتَين، والله لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم. ثمّ انحطّ على بدر فنزل قريبًا منها.

وكان أبو سفيان قد ساحل وترك بدرًا يسارًا ثمّ أسرع فنجا، فلمّا رأى أنّه قد أحرز عِيره أرسل إلى قريش، وهم بالجُحفة: إنّ الله قد نجّى عيركم وأموالكم فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدرًا، وكان بدر موسمًا من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كلّ عام، فنقيم بها ثلاثًا فننحر الجزُر ونُطْعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدًا. فقال الأخنس بن شَريق الثقفيّ، وكان حليفًا لبني زُهْرة وهم بالجُحفة: يا بني زُهرة قد نجّى الله أموالكم وصاحبكم فارجعوا. فرجعوا، فلم يشهدها زُهْريّ ولا عدويّ، وشهدها سائر بطون قريش.

ولما كانت قريش بالجُحفة رأى جُهَيْم بن الصَّلْت بن مَخْرمة بن المطّلب بن عبد مناف رؤيا فقال: إنّي رأيتُ فيما يرى النائم رجلًا أقبل على فرس ومعه بعير له فقال: قُتل عُتبةَ وشَيْبة وأبو جهل وغيرهم ممّنْ قُتل يومئذ، ورأيته ضرب لبّةَ بعيره ثمّ أرسله في العسكر فما بقي خباء إلّا أصابه من دمه. فقال أبو جهل: وهذا أيضًا نبيّ من بني المطّلب، سيعلم غدًا من المقتول. وكان بين طالب بن أبي طالب، وهو في القوم، وبين بعض قريش محاورةٌ، فقالوا: والله قد عرفنا أنّ هواكم مع محمّد. فرجع طالب إلى مكّة فيمَن رجع، وقيل: إنّما كان خرج كرهًا، فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمَن رجع إلى مكّة، وهو الذي يقول:

يا ربّ إمّا يغزونّ طالِبْ ... في مِقنَبٍ من هذه المَقانِبْ
فَلْيكنِ المسلوبَ غيرَ السّالِبْ ... وَلْيكنِ المَغلوبَ غيرَ الغالِبْ

ومضتْ قريش حتى نزلتْ بالعُدْوة القُصوى من الوادي، وبعث الله

السماء، وكان الوادي دَهْسًا[١]، فأصاب رسولَ الله، (ﷺ)، وأصحابه منه ما لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشًا منه ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه. فخرج رسول الله، (ﷺ)، يبادرهم إلى الماء حتّى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزله، فقال الحُباب بن المُنْذر بن الجَموح: يا رسول الله! أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه أو نتأخّره؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله فإنّ هذا ليس لك بمنزل، انهض بالناس حتى نأتي أدنَى ماء سواه من القوم فننزله ثمّ نعوّر[٢] ما وراءه من القُلُب ثمّ نبني عليه حوضًا ونملأه ماء فنشرب ماءً ولا يشربون ثمّ نقاتلهم. ففعل رسول الله، (ﷺ)، ذلك.

فلمّا نزل جاءه سعد بن مُعاذ فقال: يا رسول الله نبني لك عريشًا من جريد فتكون فيه ونترك عندك ركائبك ثمّ نلقى عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا الله عليهم كان ذلك ممّا أحببناه، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلحقتَ بما وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام ما نحن بأشدّ حبًّا لك منهم، ولو ظنّوا أنّك تلقى حربًا ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويحاربون معك. فأثنى عليه خيرًا، ثمّ بُني لرسول الله، (ﷺ)، عريشٌ، وأقبلت قريش بخُيَلائها وفخرها، فلمّا رآها قال: اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك[٣] وتكذّب رسولك! اللهمّ فنصرَك الذي وعدتني! اللهمّ أحِنهُم الغداةَ. ورأى عُتْبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال: إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر أن يُطيعوه يرشدوا.

---

(١) الدهس: المكان اللّيِّن.

(٢) نعوّر: ندفن.

(٣) تحادّك: تتحدّاك وتعاديك.

وكان خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغفاريّ أو أبوه إيماء بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنًا له بجزائر أهداها لهم وعرض عليهم المدد بالرجال والسلاح، فقالت قريش: إن كنّا نقاتل الناس فما بنا من ضعف، وإن كنّا نقاتل الله كما زعم محمّد فما لأحد بالله طاقة. فلمّا نزلت قريش أقبل جماعةٌ، منهم حَكيمُ بن حِزام، حتى وردوا حوضَ النبيّ، (ﷺ)، فقال رسول الله، (ﷺ): اتركوهم، فما شرب منه رجل إلّا قُتل. يومئذٍ إلّا حكيم نجا على فرس له يقال له الوجيه وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، وكان يقول إذا اجتهد في يمينه: لا والذي نجّاني يوم بدر.

ولما اطمأنّت قريش بعثوا عمرو بن وهب الجُمحي ليحزر المسلمين، فجال بفرسه حولهم ثمّ عاد فقال: هم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولقد رأيت الولايا[1] تحمل المنايا، نواضح[2] يثرب تحمل الموتَ الناقع، ليس لهم مَنَعَة إلّا سيوفهم، والله لا يُقتل رجل منهم إلّا يقتل رجلًا منكم، فإذا أصابوا أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك، فرَوْا رأيكم.

فلمّا سمع حَكيم بن حزام ذلك مشى في القوم فأتى عُتبةَ بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنّكَ كبير قريش وسيّدها، هل لكَ أن لا تزال تُذْكَر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرميّ. قال: قد فعلتُ، عليّ دمه وما أُصيب من ماله، فأْتِ ابن الحنظليّة، يعني أبا جهل، فلا أخشى أن يُفْسد أمرَ الناس غيرُه. فقام عتبة في الناس فقال: إنّكم ما تصنعون بأن تَلقوا محمّدًا وأصحابه شيئًا، والله لئن أصبتموهم لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل

(١) الولايا: جمع الوليّة، وهي البرذعة: ثوب يُوضع على ظهر الحصان أو غيره ليُركب عليه.

(٢) النواضح: الإبل التي يُستسقى عليها الماء.

ابن عمّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته. قال حكيم بن حِزام: فانطلقتُ إلى أبي جهل فوجدتُه قد نثَل درعًا وهو يُهيّئُها، فأعلمتُهُ ما قال عُتْبة، فقال: انتفخ والله سَحْره حين رأى محمّدًا وأصحابه، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، وما بعُتْبة ما قال ولكن رأى ابنه أبا حُذيفة فيهم وقد خافكم عليه.

ثمّ بعث إلى عامر بن الحضرميّ فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع إلى مكّة بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك فانشدْ خُفْرتك ومقتل أخيك. فقام عامر وصرخ: واعمراه واعمراه! فحميت الحرب واستوسق الناس على الشر.

فلمّا بلغ عُتبةَ قولُ أبي جهل: انتفخ سَحْره، قال: سيعلم المصفِّرُ استَه من انتفخ سَحْرُه أنا أم هو! ثمّ التمس بيضة يُدْخلها رأسه فما وجد من عِظَم هامته، فاعتجر ببُرْد له.

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان سيّء الخُلق، فقال: أُعاهد الله لأشربنّ من حوضهم ولأهدمنّه أو لأموتنّ دونه. فخرج إليه حمزة فضربه فأطنّ قدمه بنصف ساقه فوقع على الأرض، ثمّ حبا إلى الحوض فاقتحم فيه ليُبرّ يمينه، وتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

ثمّ خرج عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة والوليد بن عُتْبة ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم عَوْف ومُعَوِّذ ابنا عفراء وعبدالله بن رَوَاحة كلّهم من الأنصار فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار. فقالوا: أكفاء كرام، وما لنا بكم من حاجة، ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا. فقال النبيّ، (ﷺ): قمْ يا حمزة، قمْ يا عبيدة بن الحارث، قمْ يا عليّ، فقاموا ودنا بعضهم من بعض، فبارز عبيدةُ بن الحارث بن المطّلب، وكان أمير القوم، عُتبةَ، وبارز حمزةُ شيبةَ،

وبارز عليّ الوليدَ، فأمّا حمزة فلم يُمهل شيبةَ أن قتله، وأمّا عليّ فلم يُمهل الوليدَ أن قتله، واختلف عبيدة وعُتْبَة بينهما ضربتَين كلاهما قد أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ على عُتْبة فقتلاه واحتملا عبيدة إلى أصحابه، وقد قُطعت رجله، فلمّا أتوا به النبيّ، (ﷺ)، قال: ألستُ شهيدًا يا رسول الله؟ قال: بلى. قال: لو رآني أبو طالب لعلم أنّنا أحقّ منه بقوله:

ونُسْلمه حتى نصرَّع حولهُ ونذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

ثمّ مات، وتزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض، وأبو جهل يقول: اللهمّ أقطعُنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأحِنْه الغداةَ، فكان هو المستفتح على نفسه.

وكان رسول الله، (ﷺ)، قد أمر أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنَّبل. ونزل في العريش ومعه أبو بكر وهو يدعو ويقول: اللهمّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعْبَد في الأرض، اللهمّ أنجزْ لي ما وعدتني. ولم يزل حتى سقط رداؤه، فوضعه عليه أبو بكر ثمّ قال له: كفاك مناشدتك ربّك، فإنّه سينجز لك ما وعدك. وأغفى رسول الله، (ﷺ)، في العريش إغفاءة، وانتبه ثمّ قال: يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبرائيل آخذ بعنان فرسه يقود على ثناياه النقعُ، وأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآية.

وخرج رسول الله، (ﷺ)، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[1]، وحرّض المسلمين وقال: والذي نفس محمّد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقْتَل صابرًا محتسبًا مُقبِلاً غير مُدْبر إلّا أدخله الله الجنّة. فقال عُمَير بن الحُمام الأنصاريّ وبيده تمرات يأكلهنّ: بخ بخْ! ما بيني وبين أن

(١) سورة القمر: آية ٤٥.

أدخل الجنّة إلّا أن يقتلني هؤلاء! ثمّ ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قُتل. ورُمي مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطّاب بسَهم فقُتل، فكان أوّل قتيل. ثمّ رُمي حارثة بن سراقة الأنصاري فقُتل، وقاتل عوف بن عفراء حتى قُتل، واقتتل الناس قتالًا شديدًا. فأخذ رسول الله، (ﷺ)، حفنة من التراب ورمى بها قريشًا وقال: شاهت الوجوه. وقال لأصحابه: شدّوا عليهم. فكانت الهزيمة، فقتل الله مَنْ قتل من المشركين وأسر مَن أسر منهم.

ولما كان رسول الله، (ﷺ)، في العريش وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش متوشّحًا بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله، (ﷺ)، يخافون عليه كرّة العدوّ، فرأى رسول الله، (ﷺ)، في وجه سعد بن مُعاذ الكراهية لما يصنع الناس من الأسر، فقال له رسول الله، (ﷺ): لكأنّك تكره ذلك يا سعد؟ قال: أجلْ يا رسول الله، أوّل وقعة أوقعها الله بالمشركين كان الإثخان أحبّ إليّ من استبقاء الرجال.

وكان أوّل من لقي أبا جَهْل مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح وقريش محيطة به يقولون لا يُخْلَص إلى أبي الحكم، قال مُعاذ: فجعلتُه من شأني، فلمّا أمكنني حملتُ عليه فضربتُهُ ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنُه عكرمةُ فطرح يدي من عاتقي، فتعلّقت بجلدة من جنْبي، فقاتلتُ عامّة يومي وإنّي لأسحبُها خلفي، فلمّا آذتني جعلتُ عليها رجلي ثمّ تمطّيت حتى طرحتها.

وعاش مُعاذ إلى زمان عثمان، رضي الله عنه.

ثمّ مرّ بأبي جهل مُعَوِّذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق، ثم مرّ به ابن مسعود، وقد أمر رسول الله، (ﷺ)، أن يُلْتَمس في القتلى، فوجده بآخر رمق، قال: فوضعتُ رجلي على عنقه ثمّ قلتُ: هل أخزاك الله

يا عدوّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ أعْمَدُ من رجل قتلتموه، أخبرني لمَن الدائرة؟ قلتُ: لله ولرسوله. فقال أبو جهل: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مرتقًى صعبًا! قال: فقلتُ: إنّي قاتلك. قال: ما أنت بأوّل عبد قتل سيّده، أمَا إنّ أشدّ شيء لقيتُهُ اليوم قتلك إيّاي وألّا قتلني رجل من المطيّبين الأحلاف. فضربه عبدالله فوقع رأسه بين رجلَيْه، فحمله إلى رسول الله، (ﷺ)، فسجد شكرًا لله.

وكان عبد الرحمن بن عَوْف قد غنم أدراعًا، فمرّ بأُميّة بن خلف وابنه عليّ، فقالا له: نحن خير لك من هذه الأدراع. فطرح الأدراع وأخذ بيده وبيد ابنه ومشى بهما، فقال له أميّة: مَنِ الرجل المُعْلَم بريشة نعامة في صدره؟ قال: حمزة بن عبد المطّلب. قال أميّة: هو الذي فعل بنا الأفاعيل.

ورأى بلال أميّة وكان يعذّبه فيخرج به إلى رمضاء مكّة فيُضْجعه على ظهره ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمّد، فيقول بلال: أحد أحد، فلمّا رآه بلال قال: أُميّة! رأس الكُفر! لا نجوتُ إن نجا! ثمّ صرخ: يا أنصار الله رأس الكفر ورأس الكفر أميّة بن خلَف، لا نجوتُ إن نجا! فأحاط بهم المسلمون، وقُتل أميّة وابنُه عليّ، وكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بِلالًا، ذهبتْ أدراعي وفجعني بأسيريّ. وقُتل حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، قتله عليّ بن أبي طالب.

ولما انهزم المشركون أمر النبيّ، (ﷺ)، أن لا يُقْتَل أبو البَخْتريّ بن هشام لأنّه كان أكفّ القوم عن رسول الله، (ﷺ)، وهو بمكّة، وكان ممّن اهتمّ في نقض الصحيفة، فلقيه المُجَذّر بن ذِياد البلويّ حليف الأنصار ومعه زميل له، فقال له: إنّ رسول الله قد نهَى عن قتلك. فقال: وزميلي؟ فقال

المجذّر: لا والله. قال: إذًا والله لأموتنّ أنا وهو ولا تتحدّث نساء قريش أنّي تركت زميلي حرصًا على الحياة، فقتله، ثمّ أخبر رسول الله، (ﷺ)، بخبره.

وجيء بالعبّاس، أسره أبو اليَسَر، وكان مجموعًا، وكان العبّاس جسيمًا، فقيل لأبي اليسر: كيف أسرتَهُ؟ قال: أعانني عليه رجلٌ ما رأيتُهُ قبل ذلك، بهيئة كذا وكذا، فقال رسول الله، (ﷺ): لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم. ولما أمسى العبّاس مأسورًا بات رسول الله، (ﷺ)، ساهرًا أوّل ليله، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما لك لا تنام؟ فقال: سمعتُ تضوّر العبّاس في وثاقه فمنع مني النوم. فقاموا إليه فأطلقوه، فنام رسول الله، (ﷺ).

وقد كان رسول الله، (ﷺ)، قال لأصحابه يومئذ: قد عرفتُ رجالًا من بني هاشم وغيرهم أُخْرِجوا كرهًا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومَنْ لقي العبّاس بن عبد المطّلب فلا يقتله فإنّه أُخرج كرهًا. فقال أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة: أنقتل أبناءنا وآباءنا وإخواننا ونترك العبّاس؟ والله لئن لقيتُهُ لأُلحِمَنّه بالسّيف. فبلغ النبيّ، (ﷺ)، فقال لعمر: يا أبا حفص أما تسمع قول أبي حذيفة؟ أيُضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف؟ فقال أبو حذيفة: لا أزال خائفًا من تلك الكلمة ولا يكفّرها عني إلّا الشهادة. فقُتل يوم اليمامة شهيدًا. وقد كان رسول الله، (ﷺ)، قال لأصحابه: قد رأيتُ جبرائيل وعلى ثناياه النقع.

فقال رجل من بني غِفار: أقبلتُ أنا وابن عمّ لي فصعدنا جبلًا يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننظر لمن تكون الدائرة فننتهب، فدنت منّا سحابةٌ فسمعتُ فيها حمحمة الخيل وسمعتُ قائلًا يقول: أقدمْ حَيزوم، قال: فأمّا ابن عمّي فمات مكانه، وأمّا أنا فكدتُ أهلك فتماسكتُ.

وقال أبو داود المازنيّ: إنّي لأتبع رجلًا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل سيفي إليه، فعرفتُ أنّه قتله غيري. وقال سهل بن جُنَيف: كان أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

فلمّا هزم الله المشركين وقتل منهم من قتل وأسر من أسر أمر رسول الله، (ﷺ)، أن تُطْرح القتلى في القليب، فطُرحوا فيه إلّا أميّة بن خَلَف فإنّه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا به ليُخرجوه فتقطّع، وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيّبه، ولما أُلقوا في القليب وقف عليهم رسول الله، (ﷺ)، وقال: يا أهل القليب بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم! كذّبتموني وصدّقني الناس! ثمّ قال: يا عُتْبة، يا شَيْبة، يا أميّة بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، وعدّد من كان في القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقًّا؟ فإنّي وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا. فقال له أصحابه: أتكلّم قومًا موتى؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني. ولما قال، (ﷺ)، لأهل القليب ما قال رأى في وجه أبي حُذَيفة بن عُتْبة الكراهية وقد تغيّر، فقال: لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما شككتُ في أبي وفي مصرعه، ولكنّه كان له عقل وحلم وفضل فكنتُ أرجو له الإسلام، فلمّا رأيتُ ما مات عليه من الكفر أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله، (ﷺ)، بخير.

ثمّ إنّ رسول الله، (ﷺ)، أمر فجُمع ما في العسكر، فاختلف المسلمون، فقال مَنْ جمعه: هو لنا. وقال الذين كانوا يقاتلون العدوّ: واللهِ لولا نحن ما أصبتموه، نحن شغلنا القوم عنكم حتّى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله، (ﷺ)، وهو في العريش: والله ما أنتم

بأحقّ به منّا، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له مَنْ يمنعه ولكن خفنا كرّة العدوّ على رسول الله، (ﷺ)، فقمنا دونه. فنزع الله الأنفال من أيديهم وجعلها إلى رسول الله، (ﷺ)، فقسمه بين المسلمين على سواء.

وبعث رسول الله، (ﷺ)، عبدَ الله بن رَواحة بشيرًا إلى أهل العالية، وزيد بنَ حارثة بشيرًا إلى أهل السافلة من المدينة، فوصل زيد وقد سوّوا التراب على رُقيّة بنت رسول الله، (ﷺ)، وكانت زوجة عثمان بن عفّان، خلّفه رسول الله، (ﷺ)، عليها وقسم له.

فلمّا عاد رسول الله، (ﷺ)، لقيه الناس يهنّئونه بما فتح اللهُ عليه، فقال سَلَمة بن سلامة بن وقش الأنصاريّ: إن لقينا إلّا عجائز صُلْعًا كالبُدْن المعقّلة فنحرناها. فتبسّم رسول الله، (ﷺ)، وقال: يابنَ أخي أولئك الملأ من قريش.

وكان في الأسرى النضر بن الحارث وعُقْبة بن أبي مُعَيْط، فأمر عليَّ ابن أبي طالب بقتل النضر فقتله بالصّفْراء، وأمر عاصمَ بن ثابت بقتل عقبة ابن أبي معيط، فلمّا أرادوا قتله جزع من القتل وقال: ما لي أسوة بهؤلاء؟ يعني الأسرى، ثمّ قال: يا محمّد مَن للصّبيْة؟ قال: النار، فقتله بعِرْق الظُّبْية صبرًا.

وكان في الأسرى سُهَيْل بن عمرو أسره مالك بن الدّخْشُم الأنصاريّ، فلمّا أُتي به النبيّ، (ﷺ)، قال عمر بن الخطّاب: دعني أنزع ثنيّتَيْه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيبًا أبدًا، وكان سهيل أعلم الشفة السفلى[1]، فقال رسول الله، (ﷺ): دعه يا عمر فسيقوم مقامًا تحمده عليه، فكان مقامه ذلك عند موت النبيّ، (ﷺ)، وسنذكره عند خبر الرِّدّة أن شاء الله. ولما قدم به

---

(١) أي: مشقوق الشفة العليا.

المدينة قالت له سَوْدة بنت زَمعَة، زوج النبيّ، (ﷺ): أعطيتم بأيديكم كما تفعل النساء، ألّا متّم كرامًا! فسمع رسول الله، (ﷺ)، قولها فقال لها: يا سَوْدة أعَلى الله وعلى رسوله تحرّضين! فقالت: يا رسول الله ما ملكتُ نفسي حين رأيتُهُ أن قلتُ ما قلتُ.

وقال رسول الله: (ﷺ): استوصوا بالأسرى خيرًا. وكان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه.

فكان أوّل مَن قدم مكّة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبدالله الخزاعيّ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عُتبة وشيبة وأبو الحكَم ونُبَيه ومنبّه ابنا الحجّاج، وعدّد أشراف قريش. فقال صَفْوان بن أميّة: والله إن يعقل فاسألوه عني. فقالوا: ما فعل صفوان؟ قال: هو ذاك جالس في الحِجر، وقد رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا.

ومات أبو لهب بمكّة بعد وصول خبر مقتل قريش بتسعة أيّام، وناحت قريش على قتلاهم، ثمّ قالوا: لا تفعلوا فيشمت محمّد وأصحابه، ولا تبعثوا في فداء أسراكم لا يشتطّ عليكم محمّد. وكان الأسود بن عبد يغوث قد أُصيب له ثلاثة من ولده: زَمَعة وعَقيل والحارث، وكان يحبّ أن يبكي على بنيه. فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة فقال لغلامه، وقد ذهب بصره: انظرْ هل أُحلّ البكاء لعليّ أبكي على زَمَعَة فإنّ جوفي قد احترق. فرجع إليه وقال له: إنّما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته، فقال:

أتَبكي أن يَضِلّ لها بَعِيرٌ ويمنعها منَ النّوم السُّهودُ
ولا تَبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرتِ الجدودُ
على بَدرٍ سراةِ بني هُصَيصٍ ومخزُومٍ ورَهطِ أبي الوَليدِ
وبكّي إن بكيتِ على عَقيلٍ وبكّي حارثًا أَسَدَ الأُسودِ

وبكّيهم ولا تَسَمي جَميعًا فما لأبي حَكيمةَ مِن نَديدِ
ألا قد سادَ بعدَهمُ أُناسٌ ولولا يَوْمُ بَدرٍ لم يَسُودُوا

يعني أبا سفيان.

ثمّ إنّ قريشًا أرسلت في فداء الأسارى، فأوّل مَن فُدِي أبو وَداعة السّهْميّ، فداه ابنُه المطّلب، وفدى العبّاسُ نفسه وعَقيلَ بن أبي طالب ونَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب وحليفه عُتبة بن عمرو بن جَحْدَم، أمره رسول الله، (ﷺ)، بذلك فقال: لا مال لي. فقال له رسول الله، (ﷺ): أين المال الذي وضعتَه عند أم الفضل وقلتَ لها إن أُصبتُ فللفضل كذا ولعبدالله كذا ولعبيدالله كذا؟ قال: والذي بعثك بالحقّ ما علم به أحد غيري وغيرها، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله! وفدى نفسه وابني أخوَيْه وحليفه، وكان قد أُخذ مع العبّاس عشرون أوقية من ذهب، فقال: احسبها في فدائي. فقال النبيّ، (ﷺ): لا، ذاك شيء أعطاناه الله، عزّ وجلّ.

وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان، أسره عليّ، فقيل لأبيه: أفْدِ عَمرًا. فقال: لا أجمع عليّ دمي ومالي، يُقتل ابني حنظلة وأفدي عَمرًا! فتركه ولم يفكّه. ثمّ إنّ سعد بن النعمان الأنصاري خرج إلى مكّة معتمرًا، فأخذه أبو سفيان، وكانت قريش لا تعرض لحاجّ ولا معتمر. فحبسه أبو سفيان ليفدي به عَمرًا ابنه، وقال:

أرَهْطَ ابن أكّالٍ أجيبوا دُعاءهُ تَعاقَدتمُ لا تُسلموا السّيدَ الكهلا
فإنّ بَني عمرٍو لِئَامٌ أذِلَّةٌ لئن لم يُفكّوا عن أسيرهمُ الكَبْلا

فمشى بنو عمرو بن عوف إلى النبيّ، (ﷺ)، فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان ففادوا به سعدًا.

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله، (ﷺ)، وكان من أكثر رجال مكّة مالًا وأمانة وتجارة، وكانت أمّه هالة بنت خُوَيْلد أخت خديجة زوجة رسول الله، (ﷺ)، فسألته أن يزوّجه زينب، ففعل قبل أن يوحى إليه، فلمّا أُوحي إليه آمنت به زينب، وكان رسول الله، (ﷺ)، مغلوبًا بمكّة لم يقدر أن يفرّق بينهما، فلمّا خرجت قريش إلى بدر خرج معهم فأُسر، فلمّا بعثت قريش في فداء الأسارى بعثت زينب في فداء أبي العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها معها، فلمّا رآها رسول الله، (ﷺ)، رقّ لها رقّة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا. فأطلقوا لها أسيرها وردّوا القلادة.

وأخذ رسول الله، (ﷺ)، عليه أن يُرْسل زينب إليه بالمدينة، وسار إلى مكّة، وأرسل رسول الله، (ﷺ)، زيد بن حارثة مولاه ورجلًا من الأنصار ليصحبا زينب من مكّة، فلمّا قدم أبو العاص أمرها باللحاق بالنبيّ، (ﷺ)، فتجهّزت سرًّا، وأركبها كنانة بن الربيع، أخو أبي العاص، بعيرًا وأخذ قوسه وخرج بها نهارًا. فسمعت بها قريش فخرجوا في طلبها فلحقوها بذي طَوًى، وكانت حاملًا فطرحت حملها لما رجِّعت لخوفها، ونثر كنانة أسهمه ثمّ قال: والله لا يدنو مني أحد إلّا وضعت فيه سهمًا! فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال: خرجتَ بها علانيةً فيظنّ الناس أنّ ذلك عن ذلّ وضعف منّا، ولعمري ما لنا في حبسها حاجة، فارجعْ بالمرأة ليتحدّث الناس أنّا رددناها. ثمّ أخرجها ليلًا وسلّكها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله، (ﷺ)، فأقامت عنده.

فلمّا كان قُبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام بأمواله وأموال

رجال من قريش، فلمّا عاد لقيته سريّة لرسول الله، (ﷺ)، فأخذوا ما معه وهرب منهم، فلمّا كان الليل أتى المدينة فدخل على زينب، فلمّا كان الصبح خرج رسول الله، (ﷺ)، إلى الصلاة فكبّر وكبّر الناس، فنادت زينب من صُفّة النساء: أيّها الناس إنّي قد أجرت أبا العاص. فقال النبيّ، (ﷺ): والذي نفسي بيده ما علمتُ بشيء من ذلك، وإنّه ليُجير على المسلمين أدناهم. وقال لزينب: لا يَخْلُصْ إليك فلا يحلّ لك. وقال للسرية الذين أصابوه: إن رأيتم أن تردّوا عليه الذي له فإنّا نحبّ ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم وأنتم أحقّ به. قالوا: يا رسول الله بل نردّه عليه. فردّوا عليه ماله كلّه حتى الشّظاظ[1]، ثمّ عاد إلى مكّة فردّ على الناس مالهم وقال لهم: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلّا تخوّف أن تظنّوا أنّي إنّما أردتُ أكل أموالكم. ثمّ خرج فقدم على النبيّ، (ﷺ)، فردّ عليه أهله بالنكاح الأوّل، وقيل بنكاح جديد.

وجلس عُمَير بن وهب الجُمَحيّ مع صَفْوان بن أميّة بعد بدر، وكان شيطانًا ممّنْ كان يؤذي النبيّ وأصحابه، وكان ابن وهب في الأسارى، فقال صفوان: لا خير في العيش بعد من أصيب ببدر. فقال عمير: صدقتَ ولولا دَيْن عليّ وعيال أخشى ضيعتهم لركبتُ إلى محمّد حتى أقتله. فقال صفوان: دَيْنك عليّ وعيالك مع عيالي أسوتُهم. فسار إلى المدينة فقدمها، فأمر النبيُّ، (ﷺ)، عمرَ بن الخطّاب بإدخاله عليه، فأخذ عمر بحمالة سيفه وقال لرجال معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله، (ﷺ)، واحذروا هذا الخبيث. فلمّا رآه رسول الله، (ﷺ)، قال لعمر: اتركْه، ثمّ قال: ادنُ

(١) الشّظاظ: خشبة عقفاء تُدخل في عروتَي الجُوالق (كيس كبير من صوف أو شعر).

يا عُمير، ما جاء بك؟ قال: جئتُ لهذا الأسير. قال: اصدقني. قال: ما جئت إلّا لذلك. قال: بل قعدتَ أنتَ وصفوان وجرى بينكما كذا وكذا. فقال عمير: أشهد أنّك رسول الله، هذا الأمر لم يحضره إلّا أنا وصفوان، فالحمد لله الذي هداني للإسلام. فقال رسول الله، (ﷺ): فقّهوا أخاكم في دينه وعلّموه القرآن وأطلقوا له أسيره؛ ففعلوا. فقال: يا رسول الله كنتُ شديد الأذى للمسلمين فأحبّ أن تأذن لي فأقدم مكّة فأدعو إلى الله وأوذي الكفّار في دينهم كما كنتُ أوذي أصحابك. فأذن له، فكان صفوان يقول: أبشروا الآن بوقعة تأتيكم تُنسيكم وقعة بدر.

فلمّا قدم عمير مكّة أقام بها يدعو إلى الله، فأسلم معه ناس كثير، وكان يؤذي من خالفه.

وقدم مِكْرَز بن حفص بن الأخْيَف في فداء سُهَيل بن عمرو، وكان رسول الله، (ﷺ)، يشاور أبا بكر وعمر وعليًا في الأسارى، فأشار أبو بكر بالفداء، وأشار عمر بالقتل، فمال رسول الله، (ﷺ)، إلى القتل، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾[1] إلى قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]؛ وكان الأسرى سبعين، فقُتل من المسلمين عقوبة بالمفاداة يوم أُحُد سبعون، وكُسرت رباعية رسول الله، وهُشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه وانهزم أصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾[3].

وكان جميع مَنْ قُتل من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلاً، ستّة من

(١) سورة الأنفال: آية ٦٧.
(٢) سورة الأنفال: آية ٦٨.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٦٥.

المهاجرين، وثمانية من الأنصار. وردّ رسول الله، (ﷺ)، جماعةً استصغرهم، منهم: عبدالله بن عمر، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، وأُسَيْد بن حُضَير.

وضرب رسول الله، (ﷺ)، لثمانية نفر بسهم في الأنفال لم يحضروا الوقعة، منهم: عثمان بن عفّان، كان رسول الله، (ﷺ)، خلّفه على زوجته رُقيّة بنت رسول الله، (ﷺ)، لمرضها، وطلحة بن عبيدالله، وسَعيد بن زيد، كان أرسلهما يتجسّسان خبر العير، وأبو لُبابة، خلّفه على المدينة، وعاصم بن عديّ، خلّفه على العالية، والحارث بن حاطب، ردّه إلى بني عمرو بن عَوْف لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الصِّمّة، كُسر بالرّوْحاء، وخَوّات بن جُبَير، كُسر في بدر أسفل سيفه ذي الفقار، وكان لمُنبّه بن الحجّاج، وقيل كان للعاص بن منبّه، قتله عليّ صبرًا وأخذ سيفه ذا الفقار، فكان للنبيّ، (ﷺ)، فوهبه لعليّ.

* * *

غزوة بني القَيْنُقَاع[1]

لما عاد رسول الله، (ﷺ)، من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه وبغوا ونقضوا العهد، وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجرًا. فلمّا بلغه حسدهم جمعهم بسوق بني قَيْنُقاع فقال لهم: احذروا ما نزل بقريش وأسلموا، فإنّكم قد عرفتم أنّي مرسَل. فقالوا: يا محمّد لا يغرنّك أنّك لقيتَ قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبتَ منهم فرصة.

فكانوا أوّل يهود نقضوا ما بينهم وبينه، فبينما هم على مجاهرتهم وكُفرهم إذا جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قَيْنُقاع فجلست عند صائغ لأجل حلى لها، فجاء رجل منهم فخلّ درعها إلى ظهرها، وهي لا تشعر، فلمّا قامت بدت عورتها، فضحكوا منها، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، ونبذوا العهد إلى رسول الله، (ﷺ)، وتحصّنوا في حصونهم، فغزاهم رسول الله، (ﷺ)، وحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه، فكُتفوا، وهو يريد قتلهم، وكانوا حلفاء الخزرج، فقام إليه عبدالله بن أُبَيّ بن سَلول فكلّمه فيهم، فلم يجبه، فأدخل يده في جيب رسول الله،

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/١٣٧ - ١٣٩
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/١٣٦ .
- تاريخ الطبري ٢/ ٤٨ .
- سيرة ابن هشام ٣/ ٩ .

(ﷺ)، فغضب رسول الله وقال: ويحك أرسلني. فقال: لا أرسلك حتى تُحْسن إلى مواليّ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، وإنّي والله لأخشى الدوائر. فقال النبيّ، (ﷺ): هم لك، خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم.

وغنم رسولُ الله، (ﷺ)، والمسلمون ما كان لهم من مال، ولم يكن لهم أرضون إنّما كانوا صاغةً، وكان الذي أخرجهم عُبادة بن الصامت الأنصاري، فبلغ بهم ذِبابَ، ثمّ ساروا إلى أذْرِعات من أرض الشام، فلم يلبثوا إلّا قليلاً حتى هلكوا.

وكان قد استخلف على المدينة أبا لُبابة، وكان لواء رسول الله، (ﷺ)، مع حمزة، وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسَها، وكان أوّل خُمْس أخذه رسول الله، (ﷺ)، في قولٍ. ثمّ انصرف رسول الله، (ﷺ)، وحضر الأضحى وخرج إلى المصلّى فصلّى بالمسلمين، وهي أوّل صلاة عيد صلّاها، وضحّى فيه رسول الله، صلّى (ﷺ)، بشاتَين، وقيل بشاة، وكان أوّل أضحى رآه المسلمون، وضحّى معه ذوو اليسار. وكانت الغزاة في شوّال بعد بدر، وقيل: كانت في صفر سنة ثلاث، وجعلها بعضهم بعد غزوة الكُدْر.

* * *

الفصل الثامن:

غزوة الكُدْر أو غزوة قرقرة الكدر(١)

قال ابن إسحاق: كانت في شوّال سنة اثنتين، وقال الواقديّ: كانت في المحرّم سنة ثلاث، وكان قد بلغ النبيّ، (ﷺ)، اجتماعُ بني سُلَيم على ماء لهم يقال له الكُدْر، فسار رسول الله (ﷺ)، إلى الكُدْر فلم يلقَ كيدًا، وكان لواؤه مع عليّ بن أبي طالب، واستخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم وعاد ومعه النعم والرِّعاء، وكان قدومه، في قولٍ، لعشر ليالٍ مضين من شوّال. وبعد قدومه أرسل غالبَ بن عبدالله الليثيّ في سريّة بني سُلَيْم وغطفان، فقتلوا فيهم وغنموا النَّعم، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر وعادوا منتصف شوّال.

* * *

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٣٩.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ١٥٦.
- المغازي للواقدي ١/ ١٨٢.
- تاريخ الطبري.
- سيرة ابن هشام ٣/ ٥ .

الفصل التاسع:

غزوة السّوِيق[1]

كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر أن لا يمسّ رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمّدًا، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبُرّ يمينه حتى جاء المدينة ليلاً واجتمع بسلاّم بن مِشْكَم سيّد النَّضير فعلم منه خبر الناس، ثمّ خرج في ليلته فبعث رجالًا من قريش إلى المدينة، فأتوا العُرَيْض فحرَّقوا في نخلها وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفًا له، واسم الأنصاري مَعْبَد بن عمرو، وعادوا، ورأى أن قد برّ في يمينه. وجاء الصريخ، فركب رسول الله، (ﷺ)، وأصحابه فأعجزهم، وكان أبو سفيان وأصحابه يُلْقون جُرب السَّوِيق يتخفّفون منها للنّجاة، وكان ذلك عامّة زادهم، فلذلك سُمّيت غزوة السَّويق.

ولما رجع رسول الله، (ﷺ)، والمسلمون قالوا: يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: نعم. وقال أبو سفيان بمكّة، وهو يتجهّز:

---

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/١٣٩ - ١٤٠.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/١٥٦.
- المغازي للواقدي ١/١٨١.
- تاريخ الطبري ٢/٥٠ .
- سيرة ابن هشام ٣/٦ .
- البداية والنهاية.

كُرّوا على يَثربٍ وجَمعِهِمُ فإنّ ما جَمّعوا لكُمْ نَفَلُ
إن يكُ يوْمُ القليبِ كانَ لهمْ فإنّ ما بَعْدَه لكم دُوَلُ
آليتُ لا أقربُ النّساءَ ولا يمَسّ رأسي وجلدِيَ الغُسُلُ
حتى تُبيروا قَبائلَ الأوسِ والـ ـخَزرَجِ، إنّ الفؤادَ يَشتَعِلُ

فأجابه كعب بن مالك بقوله:

يا لَهْفَ أمّ المُسَبّحينَ على جَيشِ ابن حرْبٍ بالحرّة الفَشِلِ
إذ يَطْرَحونَ الرّجالَ مَنْ سَئمَ الطَّيْـ ـرَ ترَقّى لِقُنّةِ الجَبَلِ
جاؤوا بجَمعٍ لوْ قيسَ مبركُهُ ما كانَ إلّا كمَفْحصِ الدُّئِلِ
عارٍ منَ النّصرِ والثّراء ومن أبطالِ أهل البطحاء والأسَلِ

* * *

غزوة بني ثعلبة، أو غزوة غطفان، أو غزوة أنمار[1]

في المحرّم سنة ثلاث سمع رسولُ الله، (ﷺ)، أنّ جمعًا من بني ثَعْلَبة بن سعد بن ذُبيان وبني مُحارب بن حفص تجمّعوا ليصيبوا من المسلمين، فسار إليهم في أربعمائة وخمسين رجلًا، فلمّا صار بذي القَصّة لقي رجلًا من ثعلبة فدعاه إلى الإسلام، فأسلم وأخبره أنّ المشركين أتاهم خبره فهربوا إلى رؤوس الجبال، فعاد ولم يلقَ كيدًا، وكان مقامه اثنتي عشرة ليلة.

* * *

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٤٢.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ١٥٧.
- المغازي للواقدي ١/ ١٩٣.

غزوة بني سليم(1)

وفيها، في جمادى الأولى، غزا بني سُلَيْم ببَحْران، وسبب هذه الغزوة أنّ جمعًا من بني سُلَيْم تجمّعوا ببحران من ناحية الفُرُع، فبلغ ذلك النبيّ، (ﷺ)، فسار إليهم في ثلاثمائة، فلمّا بلغ بحران وجدهم قد تفرّقوا فانصرف ولم يلقَ كيدًا، وكانت غيبته عشر ليالٍ، واستخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم.

* * *

(1) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٤٢.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ١٥٩.
- المغازي للواقدي ١/ ١٩٦.
- السيرة النبوية ٣/ ٨ .

غزوة أُحُد(١)

في شوّال لسبع ليالٍ خلون منه كانت وقعة أُحُد، وقيل للنصف منه، وكان الذي هاجها وقعة بدر، فإنّه لما أُصيب من المشركين مَنْ أُصيب ببدر مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعِكْرمة بن أبي جهل وصَفْوان بن أميّة وغيرهم ممّنْ أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بها، فكلّموا أبا سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة وسألوهم أن يُعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله، (ﷺ)، ليدركوا ثأرهم منهم، ففعلوا وتجهّز الناس وأرسلوا أربعة نفر، وهم: عمرو بن العاص، وهُبَيرة بن أبي وهب، وابن الزِّبَعْرَى، وأبو عزّة الجُمَحيّ، فساروا في العرب ليستنفروهم، فجمعوا جمعًا من ثقيف وكِنانة وغيرهم، واجتمعت قريش بأحابيشها ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وتهامة، ودعا جُبَير بن مُطْعم غلامه وَحْشِيّ بن حرب، وكان حبشيًّا يقذف بالحربة قلّ ما يُخْطِئ، فقال له: اخرجْ مع الناس فإن قتلتَ عمّ محمّد بعمّي طُعَيْمة بن عديّ فأنت عتيق.

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/١٤٨ - ١٦٣.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/١٦١.
- المغازي للواقدي ١/١٩٩.
- تاريخ الطبري ٢/٥٨ .
- البداية والنهاية ٤/١٠ .
- السيرة النبوية ٣/٢٣ .

وخرجوا معهم بالظُّعُن لئلاّ يفرّوا، وكان أبو سفيان قائد الناس، فخرج بزوجته هند بنت عُتْبة، وغيره من رؤساء قريش خرجوا بنسائهم، خرج عِكرمة بن أبي جهل بزوجته أمّ حَكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن المُغيرة بفاطمة بنت الوليد بنِ المُغيرة أخت خالد، وخرج صفوان بن أميّة ببريرة، وقيل بَرْزة بنت مسعود الثقفيّة أخت عُرْوة بن مسعود، وهي أمّ ابنه عبدالله بن صفوان، وخرج عمرو بن العاص برَيْطة ابنة منبّه بن الحجّاج، وهي أُمّ ولده عبيدالله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة بسُلافة بنت سعد، وهي أمّ بنيه مُسافع والجُلاس وكِلاب وغيرهم. وكان مع النساء الدفوف يبكين على قتلى بدر يحرّضن بذلك المشركين.

وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الأنصاري، وكان خرج إلى مكّة مباعدًا لرسول الله، (ﷺ)، ومعه خمسون غلامًا من الأوْس، وقيل كانوا خمسة عشر، وكان يَعِد قريشًا أنّه لو لقي محمّدًا لم يتخلّف عنه من الأوس رجلان. فلمّا التقى الناس بأُحُد كان أبو عامر أوّل من لقي في الأحابيش وعبدان أهل مكّة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر. فقالوا: فلا أنعم الله بك عينًا يا فاسق! فقال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ، ثمّ قاتلهم قتالًا شديدًا حتى راضخهم بالحجارة. وكانت هند كلّما مرّت بوحشيّ أو مرّ بها قالت له: يا أبا دُسْمة اشفِ واستَشْفِ، وكان يكنى أبا دُسْمة. فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين بجبل ببطن السَّبْخة من قناة على شفير الوادي ممّا يلي المدينة.

فلمّا سمع بهم رسول الله، (ﷺ)، والمسلمون قال: إنّي رأيتُ بقرًا فأوّلتُها خيرًا، ورأيتُ في ذُباب سيفي ثلمًا، ورأيتُ أنّي أدخلتُ يدي في درع حصينة فأوّلتُها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتَدَعوهم فإن

أقاموا بشرّ مُقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها.

وكان رأيُ عبدالله بن أُبَيّ بن سَلول مع رأي رسول الله، (ﷺ)، يكره الخروج، وأشار بالخروج جماعةٌ ممّن استشهد يومئذٍ.

وأقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجُمْعة، وخرج رسول الله، (ﷺ)، حين صلّى الجُمْعة فالتقوا يوم السبت نصف شوّال. فلمّا لبس رسول الله، (ﷺ)، سلاحه وخرج ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج إلى قريش وقالوا: استكرهْنا رسولَ الله، (ﷺ)، ونشير عليه، فالوحي يأتيه فيه، فاعتذروا إليه وقالوا: اصنعْ ما شئتَ. فقال: لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأْمَتَه فيضعها حتى يقاتل.

فخرج في ألف رجل، واستخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم، فلمّا كان بين المدينة وأُحُد عاد عبدُالله بن أُبَيّ بثُلْث الناس، فقال: أطاعهم وعصاني، وكان من تبعه أهل النفاق والريب، وأتبعهم عبدُالله بن حرام أخو بني سَلَمة يذكّرهم الله أن لا يخذلوا نبيّهم، فقالوا: لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم، وانصرفوا. فقال: أبعدكم الله أعداء الله! فسيغني الله عنكم! وبقي رسول الله (ﷺ)، في سبعمائة، فسار في حرّة بني حارثة وبين أموالهم، فمرّ بمال رجل من المنافقين يقال له مِرْبع بن قَيْظيّ، وكان ضرير البصر، فلمّا سمع حسّ رسول الله، (ﷺ)، ومَنْ معه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول: إن كنتَ رسول الله فإنّي لا أُحلّ لك أن تدخل حائطي، وأخذ حفنةً من تراب في يده وقال: لو أعلم أنّي لا أصيب غيرك لضربتُ به وجهك. فابتدروه ليقتلوه، فقال النبيّ، (ﷺ): لا تفعلوا فهذا الأعمى أعمى البصر والقلب. فضربه سعد بن زيد بقوس فشجّه.

وذبّ فرس بذنبه فأصاب كُلاّب سيف صاحبه، فاستلّه، فقال له

رسول الله، (ﷺ): سيوفكم، فإنّي أرى السيوف ستُسَلّ اليوم.

وسار رسول الله، (ﷺ)، حتى نزل بعدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد، وكان المشركون ثلاثة آلاف، منهم سبعمائة دارع، والخيل مائتَيْ فرس والظُّعُن خمس عشرة امرأة، وكان المسلمون مائة دارع ولم يكن من الخيل غير فرسَين، فرس لرسول الله، (ﷺ)، وفرس لأبي بُرْدة بن نِيار، وعرض رسول الله، (ﷺ)، المقاتلة فردّ زيدَ بن ثابت وابن عمر وأُسَيْد بن حُضير والبراء بن عازب وعرابة ابن أوس وأبا سعيد الخُدريّ وغيرهم، وأجاز جابرَ بن سَمُرَة ورافع بن خَديج.

وأرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول: خلّوا بيننا وبين ابن عمّنا فننصرف عنكم فلا حاجة بنا إلى قتالكم. فردّوا عليه بما يكره.

وتعبّأ المشركون فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عِكْرِمة بن أبي جهل، وكان لواؤهم مع بني عبد الدار، فقال لهم أبو سفيان: إنّما يؤتَى الناس من قِبَل راياتهم، فإمّا أن تكفونا وإمّا أن تخلّوا بيننا وبين اللواء، يحرّضهم بذلك. فقالوا: ستعلم إذا التقينا كيف نصنع، وذلك أراد.

واستقبل رسول الله، (ﷺ)، المدينة وترك أُحُدًا خلف ظهره وجعل وراءه الرّماةَ، وهم خمسون رجلًا، وأمّر عليهم عبدالله بن جُبَير، أخا خَوّات بن جُبَير، وقال له: انضَحْ عنّا الخيل بالنَّبل لا يأتونا من خلفنا واثبتْ مكانك إن كانت لنا أو علينا. وظاهَرَ رسول الله، (ﷺ)، بين درعَين وأعطى اللواء مُصْعب بن عُمَير، وأمّر الزّبير على الخيل ومعه المِقْداد، وخرج حمزة بالجيش بين يديه.

وأقبل خالد وعِكْرِمة فلقيهما الزّبير والمقداد فهزما المشركين، وحمل

النبيّ، (ﷺ)، وأصحابه فهزموا أبا سفيان، وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال: يا معشر أصحاب محمّد إنّكم تزعمون أنّ الله يُعْجلنا بسيوفكم إلى النار ويُعجلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل أحد منكم يُعْجله سيفي إلى الجنّة أو يُعجلني سيفه إلى النار؟ فبرز إليه عليّ بن أبي طالب، فضربه عليّ فقطع رجله، فسقط وانكشفت عورته، فناشده اللهَ فتركه، فكبّر رسول الله، (ﷺ)، وقال لعليّ: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إنّه ناشدني الله والرّحِمَ فاستحييتُ منه.

وكان بيد رسول الله، (ﷺ)، سيف، فقال: من يأخذه بحقّه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام أبو دُجانة فقال: وما حقّه يا رسول الله؟ قال: تضرب به العدوّ حتى تُثخن. قال: أنا آخذه. فأعطاه إيّاه. وكان شجاعًا، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء علم الناس أنّه يقاتل، فعصّب رأسه بها وأخذ السيف وجعل يتبختر بين الصفّين. فقال رسول الله، (ﷺ): إنّها مِشْية يُبْغضها الله إلّا في هذا الموطن، فجعل لا يرتفع له شيء إلّا حطّمه حتى انتهى إلى نِسوةٍ في سفح الجبل فيهنّ امرأة تقول:

نَحْنُ بناتُ طارِقْ نَمشي على النّمارِقْ
إنْ تُقْبِلوا نُعانِقْ ونفرُشُ النّمارِقْ
أوْ تُدبِروا نُفارِقْ فِراقَ غيرِ وامِقْ

وتقول أيضًا:

إيها بني عبد الدّارْ إيها حُماةَ الدّيارْ
ضربًا بكلّ بتّارْ

فرفع السيف ليضربها، ثمّ أكرم سيف رسول الله، (ﷺ)، أن يضرب به امرأة. وكانت المرأة هِنْد، والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال

يحرِّضنهم.

واقتتل الناس قتالًا شديدًا، وأمعن في الناس حمزةُ وعليّ وأبو دُجانة في رجال من المسلمين، وأنزل الله نصره على المسلمين، وكانت الهزيمة على المشركين، وهرب النساء مصعِّدات في الجبل، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون. فلمّا نظر بعضُ الرماة إلى العسكر حين انكشف الكفّار عنه أقبلوا يريدون النّهب، وثبتت طائفة وقالوا: نطيع رسول الله ونثبت مكاننا، فأنزل الله: ﴿مِنكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[1]؛ يعني اتِّباع أمر رسول الله، (ﷺ).

قال ابن مسعود: وما علمتُ أن أحدًا من أصحاب رسول الله، (ﷺ)، يريد الدنيا حتى نزلت الآية.

فلمّا فارق بعض الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلّة مَنْ بقي من الرّماة، فحمل عليهم فقتلهم، وحمل على أصحاب النبيّ، (ﷺ)، من خلفهم. فلمّا رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم، وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، فبقي مطروحًا لا يدنو منه أحدٌ، فأخذته عَمْرة بنت علقمة الحارثيّة فرفعته، فاجتمعت قريش حوله، وأخذه صُؤاب فقُتل عليه، وكان الذي قتل أصحاب اللواء عليّ، قاله أبو رافع، قال: فلمّا قتلهم أبصر النبيُّ، (ﷺ) جماعة من المشركين، فقال لعليّ: احملْ عليهم، ففرّقهم وقتل فيهم، ثمّ أبصر جماعةً أخرى فقال له: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل فيهم، فقال جبرائيل: يا رسول الله هذه المؤاساة! فقال رسول الله (ﷺ): إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرائيل: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتًا: لا سيف

(١) آل عمران: ١٥٢.

إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا عليّ.

وكُسرت رباعيَة رسول الله، (ﷺ)، السفلى وشُقّت شفته وكُلِم في وجنته وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قَمِئَة بالسيف، وكان هو الذي أصابه، وقيل: أصابه عُتْبة بن أبي وقّاص، وقيل: عبدالله بن شِهاب الزُّهْريّ جدّ محمّد بن مسلم.

وقيل: إنّ عتبة بن أبي وقّاص، وابن قَمئة الليثيّ الأدرميّ، من بني تيم بن غالب، وكان أدرَم ناقص الذقن، وأُبَيّ بن خَلَف الجمحيّ، وعبدالله ابن حُميَد الأسديّ، أسد قريش، تعاقدوا على قتل رسول الله، (ﷺ)؛ فأمّا ابن شِهاب فأصاب جبهته، وأمّا عُتْبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشقّ شفته، وأمّا ابن قمئة فكلم وجنته ودخل من حِلَق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يطقْ أن يقطعه فسقط رسول الله، (ﷺ)، فجُحشت ركبته، أمّا أُبَيّ بن خلف فشدّ عليه بحربة، فأخذها رسول الله، (ﷺ)، منه وقتله بها، وقيل: بل كانت حربة الزبير أخذها منه، وقيل: أخذها من الحارث بن الصِّمّة، وأمّا عبدالله بن حميد فقتله أبو دُجانة الأنصاريّ.

ولمّا جُرح رسول الله، (ﷺ)، جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: كيف يُفْلح قومٌ خضبوا وجه نبيّهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله! وقاتل دونه نفرٌ خمسة من الأنصار فقُتلوا، وترّس أبو دُجانة رسولَ الله، (ﷺ)، بنفسه، فكان يقع النبل في ظهره وهو مُنحنٍ عليه، ورَمَى سعد بن أبي وقّاص دون رسول الله، (ﷺ)، فكان رسول الله، (ﷺ) يناوله السهم ويقول: ارمِ فداك أبي وأمّي.

وأُصيبت يومئذ عين قَتادة بن النعمان، فردّها رسول الله، (ﷺ)، بيده فكانت أحسن عينَيْه. وقاتل مُصْعب بن عمير ومعه لواء المسلمين فقُتل،

قتله ابن قمئة الليثيّ، وهو يظنّ أنّه النبيّ، (ﷺ)، فرجع إلى قريش وقال: قتلتُ محمّدًا. فجعل الناس يقولون: قُتل محمّد، قُتل محمّد.

ولما قُتل مصعب أعطى رسول الله، (ﷺ)، اللواء عليّ بن أبي طالب. وقاتل حمزة حتى مرّ به سِباع بن عبد العُزّى الغُبْشانيّ، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يا ابن مقطِّعة البظور!! وكانت أمّه أمّ أنمار ختّانة بمكّة، فلمّا التقيا ضربه حمزة فقتله، قال وحشيّ: إنّي والله لأنظر إلى حمزة وهو يهذُّ الناس بسيفه هذًّا ما يلقى شيئًا يمرّ به إلّا قتله، وقتل سِباعَ بن عبد العُزّى. قال: فهززتُ حربتي ودفعتُها عليه فوقعت في ثُنّته حتى خرجت من بين رجليه وأقبل نحوي فغُلب فوقع، فأمهلتُه حتى مات فأخذتُ حربتي ثمّ تنحّيت إلى العسكر، فرضي الله عن حمزة وأرضاه.

وقتل عاصمُ بن ثابت مُسافعَ بن طلحة وأخاه كِلاب بن طلحة بسهمَين، فحُملا إلى أمّهما سُلافة وأخبراها أنّ عاصمًا قتلهما، فنذرت إن أمكنها الله من رأسه أن تشرب فيه الخمر.

وبرز عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان من المشركين، وطلب المبارزة، فأراد أبو بكر أن يبرز إليه، فقال رسول الله، (ﷺ): شِمْ سيفك وأمتعنا بك.

وانتهى أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر وطلحة في رجال من المهاجرين قد ألقَوْا بأيديهم، فقال: ما يحبسكم؟ قالوا: قد قُتل النبيّ، (ﷺ). قال: فما تصنعون بالحياة بعده! موتوا على ما مات عليه. ثمّ استقبل القومَ فقاتل حتى قُتل، فوُجد به سبعون ضربة وطعنة، وما عرفه إلّا أخته، عرفته بحسن بنانه.

وقيل: إنّ أنس بن النضر سمع نفرًا من المسلمين يقولون، لما سمعوا

أنّ النبيّ، (ﷺ)، قُتل: ليت لنا مَن يأتي عبدَالله بن أُبَيّ بن سَلول ليأخذ لنا أمانًا من أبي سفيان قبل أن يقتلونا. فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمّد قد قُتل فإنّ ربّ محمّد لم يُقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمّد. اللهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء! ثمّ قاتل حتى قُتل.

وكان أوّل مَنْ عرف رسولَ الله، (ﷺ)، كعب بن مالك، قال: فناديتُ بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا! هذا رسول الله حيّ لم يُقْتَلْ، فأشار إليه: أنصتْ. فلمّا عرفه المسلمون نهضوا نحو الشِّعب ومعه عليّ وأبو بكر وعمر وطلحة والزبير والحارث بن الصِّمّة وغيرهم. فلمّا أسند إلى الشعب أدركه أُبَيّ بن خَلَف وهو يقول: يا محمّد لا نجوتُ إن نجوتَ! فعطف عليه رسول الله، (ﷺ)، فطعنه بالحربة في عنقه، وكان أُبَيّ يقول بمكّة لرسول الله، (ﷺ): إنّ عندي العَود أعلفه كلّ يوم فَرْقًا[1] من ذُرَة أقتلك عليه. فيقول له النبيّ، (ﷺ): بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى. فلمّا رجع إلى قريش وقد خدشه رسول الله، (ﷺ)، خدشًا غير كبير قال: قتلني محمّد. قالوا: والله ما بك بأسٌ. قال: إنّه قد كان قال لي أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني! فمات عدوّ الله بسَرِف.

وقاتل رسول الله، (ﷺ)، يوم أُحُد قتالًا شديدًا، فرمى بالنبل حتى فني نبله وانكسرت سِيَة قوسه وانقطع وتره. ولما جُرح رسول الله، (ﷺ)، جعل عليّ ينقل له الماء في دَرَقته من المِهْراس[2] ويغسله، فلم ينقطع الدم، فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت حصيرًا وجعلت على

(١) الفرق: مكيال يسع ثلاثة أصواع.
(٢) المهراس: ماء بجبل أُحُد.

الجرح من رماده فانقطع الدم.

ورمى مالك بن زهير الحَشْميّ النبيَّ، (ﷺ)، فاتّقاه طلحةُ بيده فأصاب السهم خنصره، وقيل: رماه حِبّان بن العرقة، فقال: حس[1]، فقال رسول الله، (ﷺ): لو قال: باسم الله، لدخل الجنّة، والناس ينظرون إليه؛ وقيل: إنّ يده شلّت إلّا السبّابة والوسطى؛ والأوّل أثبت.

وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل، فقال رسول الله، (ﷺ): ليس لهم أن يعلونا، فقاتلهم عمر وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوهم، ونهض رسول الله، (ﷺ)، إلى الصخرة ليعلوها، وكان عليه درعاه، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة حتى صعد، فقال رسول الله، (ﷺ): أوْجَبَ طلحة.

وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين، فيهم عثمان بن عِفّان وغيره، الى الأعْوَص، فأقاموا به ثلاثًا ثمّ أتوا النبيّ، (ﷺ)، فقال لهم حين رآهم: لقد ذهبتم فيها عريضة.

والتقى حنظلة بن أبي عامر، غسيلُ الملائكة، وأبو سفيان بن حرب، فلمّا استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود وهو ابن شَعُوب، فدعاه أبو سفيان، فأتاه، فضرب حنظلةَ فقتله، فقال رسول الله، (ﷺ): إنّه لتغسله الملائكة. فَسَلوا أهله فسُئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جنب، سمع الهائعة، فقال رسول الله، (ﷺ)، لذلك غسلته الملائكة. وقال أبو سفيان يذكر صبره ومعاونة ابن شَعُوب إيّاه على قتل حنظلة:

ولوْ شِئتُ نجّتْني كُمَيتُ طِمِرّةٌ ... وَلم أحملِ النَّعْماء لابنِ شَعُوبِ

فما زال مُهري مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ ... لدُنْ غُدْوَةً حتى دنتْ لغروبِ

(١) حسّ: كلمة توجّع.

أُقاتِلُهمْ وأدّعي يالَ غالبِ وأدفعُهم عني بركنٍ صَليبِ
فبكّي ولا تَرْعَيْ مقالَةَ عاذِلٍ ولا تَسأمي مِنْ عَبرَةٍ ونَحيبِ
أباكِ وإخوانًا لَنا قد تَتابَعُوا وحُقّ لهمْ مِن عَبرَةٍ بنَصيبِ
وسَلّى الذي قد كان في النفس أنّني قتلتُ منَ النّجّارِ كلَّ نَجيبِ
ومن هاشِمٍ قِرْنًا نجيبًا ومُصْعَبًا وكانَ لدى الهَيجاء غيرَ هَيُوبِ
ولوْ أنّني لم أشفِ منهم قَرونتي[1] لكانتْ شجًا في القلب ذات نُدوبِ

فأجابه حسّان بقوله:

ذكرْتَ القُرُومَ الصِّيدَ من آل هاشِمٍ ولَستَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بمُصِيبِ
أتَعجبُ أن أقصَدتَ حمزَةَ منهُمُ عِشاءَ وقَد سَمّيتَهُ بنَجيبِ
ألم يَقتلوا عَمرًا وعُتبَةَ وابنَهُ وشَيْبَةَ والحجّاجَ وابنَ حَبيبِ
غداةَ دعا العاصي عليًّا فراعَه بضَرْبَةِ عَضْبٍ بلّهُ بخَضِيبِ

ووقعت هند وصواحباتها على القتلى يمثلن بهم، واتّخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خَدَمًا[2] وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وَحْشيًا، وبقرت عن كبِدِ حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها.

ثمّ أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال: أفِي القوم محمّد؟ ثلاثًا، فقال رسول الله، (ﷺ): لا تجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة؟ ثلاثًا. ثمّ قال: أفِي القوم ابن الخطّاب؟ ثلاثًا. ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتلوا. فقال عمر: كذبتَ أي عدوّ الله قد أبقى الله لك ما يُخزيك. فقال: اعْلُ هُبَلُ، أعل هبل. فقال رسول الله، (ﷺ): قولوا: الله أعلى وأجلّ. فقال أبو سفيان: إنّا لنا العُزّى ولا عُزّى لكم. فقال رسول

(١) قرونتي: نفسي.

(٢) الخدم: الخلاخيل.

الله، (ﷺ): قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. فقال أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمّدًا؟ قال عمر: اللهمّ لا، وإنّه ليسمع كلامك. فقال: أنت أصدق من ابن قمِئَة! ثمّ قال: هذا بيوم بدر، والحرب سِجال، أمّا إنّكم ستجدون في قتلاكم مُثَلاً، والله ما رضيتُ ولا سخطتُ ولا نهيتُ ولا أمرت.

واجتاز به الحُلَيْس بن زَبّان سيّد الأحابيش وهو يضرب في شِدْق حمزة بزُجّ الرمح ويقول: ذُقْ عُقَقُ! فقال الحليس: يا بني كِنانة هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترون. فقال أبو سفيان: اكتمها عني فإنّها زلّة.

وكانت أمّ أيمن حاضنة رسول الله، (ﷺ)، ونساء من الأنصار يسقين الماء، فرماها حِبّان بن العرقة بسهم فأصاب ذيلها، فضحك، فدفع النبيّ، (ﷺ)، إلى سعد بن أبي وقّاص سهمًا وقال: ارمه. فرماه فأصابه، فضحك النبيّ، (ﷺ)، وقال: استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك وسدّد رميتك.

ثمّ انصرف أبو سفيان ومَن معه وقال: إنّ موعدكم العام المقبل. ثم بعث رسول الله، (ﷺ)، عليًا في أثرهم وقال: انظر فإن جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنّهم يريدون مكّة، وإن ركبوا الخيل فإنّهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأناجزنّهم. قال عليّ: فخرجتُ في أثرهم، فامتطوا الإبل وجنبوا الخيل يريدون مكّة، فأقبلتُ أصيح ما أستطيع أن أكتم، وكان رسول الله، (ﷺ)، أمره بالكتمان.

وأمر رسول الله، (ﷺ)، رجلاً أن ينظر في القتلى، فرأى سعد بن الربيع الأنصاري وبه رمق، فقال للذي رآه: أَبلغْ رسول الله، (ﷺ)، عني السلام وقلْ له جزاك الله خير ما جزى نبيًا عن أمّته، وأبلغْ قومي السلام وقلْ لهم لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله، (ﷺ)، أذًى وفيكم عين

تطرف. ثمّ مات.

وَوُجد حمزة ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومُثّل به، فحين رآه رسول الله، (ﷺ)، قال: لولا أن تحزن صفيّة أو تكون سُنّة بعدي لتركتُه حتى يكون في أجواف السّباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلنّ بثلاثين رجلًا منهم. وقال المسلمون: لنمثلنّ بهم مُثلةً لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾[1] الآية، فعفا رسول الله، (ﷺ)، وصبر ونهى عن المثلة.

وأقبلت صفية بنت عبد المطّلب، فقال رسول الله، (ﷺ)، لابنها الزبير ليردّها لئلّا ترى ما بأخيها حمزة، فلقيها الزبير فأعلمها بأمر النبيّ، (ﷺ)، فقالت: إنّه بلغني أنّه مُثّل بأخي وذلك في الله قليل! فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبنّ ولأصبرنّ. فأعلم الزبيرُ النبيَّ، (ﷺ)، بذلك، فقال: خلّ سبيلها، فأتته وصلّت عليه واسترجعت، وأمر رسول الله، (ﷺ)، به فدُفن.

وكان في المسلمين رجلٌ اسمه قُزْمان، وكان رسول الله، (ﷺ)، يقول إنّه من أهل النار، فقاتل يوم أُحُد قتالًا شديدًا، فقتل من المشركين ثمانية أو تسعة، ثمّ جُرح فحُمل إلى داره، وقال له المسلمون: أبْشِرْ قُزْمان! قال: بِمَ أبْشر، وأنا ما قاتلتُ إلّا عن أحساب قومي؟ ثمّ اشتدّ عليه جرحُه فأخذ سهمًا فقطع رواهشه فنزف الدم، فمات، فأُخبر رسول الله، (ﷺ)، فقال: أشهد أنّي رسول الله.

وكان ممّنْ قُتل يوم أُحُد مُخَيريق اليهوديّ، قال ذلك اليوم ليهود: يا معشر يهود، لقد علمتم أنّ نصر محمّد عليكم حقّ. فقالوا: إنّ اليوم

---

(١) النحل: ١٢٦.

السبت. فقال: لا سبتَ، وأخذ سيفه وعُدّته وقال: إن قُتلتُ فمالي لمحمّد يصنع به ما يشاء، ثمّ غدا فقاتل حتى قُتل، فقال رسول الله، (ﷺ): مُخَيريق خير يهود.

وقُتل اليمان أبو حُذَيفة، قتله المسلمون، وكان رسول الله، (ﷺ)، رفعه وثابت بن قيس بن وَقَش مع النساء، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شيخان: ما ننتظر؟ أفلا نأخذ أسيافنا فنلحق برسول الله، (ﷺ)؟ لعلّ الله أن يرزقنا الشهادة. ففعلا ودخلا في الناس ولا يُعلم بهما، فأمّا ثابت فقتله المشركون، وأمّا اليمان فاختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حُذيفة: أبي أبي! فقالوا: والله ما عرفناه. فقال: يغفر الله لكم. وأراد رسول الله، (ﷺ)، أن يَدِيَهُ، فتصدّق حذيفةُ بديته على المسلمين.

واحتمل بعضُ الناس قتلاهم إلى المدينة، فأمر رسول الله، (ﷺ)، بدفنهم حيث صُرعوا، وأمر أن يُدْفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد، وأن يُقدَّم إلى القبلة أكثرهم قرآنًا، وصلّى عليهم، فكان كلّما أُتي بشهيد جعل حمزة معه وصلّى عليهما، وقيل: كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيصلّي عليهم، ونزل في قبره عليّ وأبو بكر وعمر والزبير، وجلس رسول الله، (ﷺ)، على حفرته وأمر أن يُدْفن عمرو بن الجَمُوح وعبدالله بن حَرام في قبر واحد، وقال: كانا متصافيَين في الدنيا.

فلمّا دُفن الشهداء انصرف رسول الله، (ﷺ)، فلقيته حَمْنَة بنت جَحْش، فنعى لها أخاها عبدالله، فاسترجعت له، ثمّ نعى لها خالَها حمزة، فاستغفرت له، ثمّ نعى لها زوجها مُصْعب بن عُمَير، فولولت وصاحت، فقال: إنّ زوج المرأة منها لبمكان.

ومرّ رسول الله، (ﷺ)، بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح، فذرفت عيناه فبكى وقال: لكنّ حمزة لا بواكي له! فرجع سعد بن مُعاذ إلى دار بني عبد الأشْهَل فأمر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة.

ومرّ رسول الله، (ﷺ)، بامرأة من الأنصار قد أُصيب أبوها وزوجها، فلمّا نُعيا لها قالت: ما فعل رسول الله، (ﷺ)؟ قال: هو بحمد الله كما تحبّين. قالت: أرونيه، فلمّا نظرت إليه قالت: كلّ مصيبة بعدك جَلَلٌ.

وكان رجوعه إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة.

* * *

غزوة حمراء الأسد[1]

حدثت هذه الغزوة في السنة السادسة للهجرة، وذلك أن رسول الله (ﷺ) رجع إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة، فلما كان الغد وهو يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال أذّن مؤذن رسول الله (ﷺ) في الناس بطلب العدو، وأذّن مؤذنه أن لا يخرج معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فكلمه جابر بن عبد الله، فقال: يا رسول الله: إن أبي كان خلفني على أخوات لي، فَأذَنْ لي بالخروج معك ولم يخرج معه ممن لم يشهد القتال غيره.

وإنما خرج رسول الله (ﷺ) مرهبًا للعدو ليبلغهم أنه قد خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وإن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم، فخرج حتى انتهى إلى حمْراء الأسد، ودفع لواءه وهو معقود لم يحل إلى علي بن أبي طالب، وقيل: إلى أبي بكر رضي الله عنهما، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخرج وهو مجروح مشجوج مكسور الرباعية وشفته

(١) - انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٤-١٦٥.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ١٧٢.
- المغازي للواقدي ١/ ٣٣٤.
- تاريخ الطبري ٢/ ٧٤ .
- السيرة النبوية ٣/ ٦٥ .

العليا قد كلمت في باطنها وهو متوهن المنكب الأيمن من ضربة ابن قميئة، ونزل إليه أهل العوالي، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد، وهي من المدينة على عشرة أميال، وقيل: ثمانية وللقوم زَجَل وهم يأتمرون بالرجوع وصفوان بن أمية ينهاهم، فبصروا بالرَّجُلين، فرجعوا إليهما فقتلوهما، ومضى رسول الله (ﷺ) وأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، فدفن الرجلان في قبر واحد، وأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار فذهب صوت معسكرهم ونارهم في كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم، ووجد رسول الله (ﷺ) أبا عزة فقتله صبرًا، وأنصرف رسول الله (ﷺ) إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وكانت غيبته خمس ليال.

* * *

غزوة بني النضير(١)

وكانت منازلهم بناحية الغَرْس وما والاها، وكان سببها أن رسول الله (ﷺ) خرج يوم السبت، فصلى في مسجد قُباء، ومعه نفر من أصحابه، ثم أتى بني النضير فكلَّمهم أن يُعينوه في ديّة رجلَيْن، كان قد أمنهما، فقتلهما عمرو بن أمية وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل، وهمُّوا بالغَدْر به، فقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرةً، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا والله ليُخْبَرَنَّ بما هممتم به، وجاء رسول الله (ﷺ) الخبر، فنهض سريعًا فتوجه إلى المدينة فلحقه أصحابه فقالوا: أَقُمتَ ولم نَشْعُر؟ فقال: «همّت يهود بالغدر فأخبرني الله عز وجل بذلك فقمت»، وبعث إليهم رسول الله (ﷺ) محمد بن مسلمة أَن اخرجوا من بلدي ولا تُسَاكنُوني وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجَّلتُكم عشرًا فمن رئي بعد ذلك ضربت عُنقه، فمكثوا أيامًا يتجهزون، وتكارُوا من ناس إبلًا فأرسل إليهم ابن أُبيّ لا تخرجوا وأقيموا فإن معي ألفين وغيرهم يدخلون حصونكم فيموتون عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غَطَفَان، فطمع حُيَيٌّ

(١) - انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٧٣
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٠٣
- المغازي للواقدي ١/ ٣٦٣
- السيرة النبوية ٣/ ١٤٣ .

فيما قال ابن أُبيّ، فأرسل إلى رسول الله (ﷺ) إنَّا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك، فكبّر رسول الله (ﷺ)، وكَبَّرَ المسلمون لتكبيره، وقال: «حاربتنا اليهود»، فسار إليهم النبي (ﷺ) في أصحابه، فصلى العصر بفَنَاء بني النضير، وعلي رضي الله عنه يحمل رايته، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما رأوا رسول الله (ﷺ) على حصونهم معهم النبلُ والحجارة، واعتزلهم قريظة، وخذلهم ابن أُبيّ وحلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم رسول الله (ﷺ)، وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادكم، فأجلاهم عن المدينة، وولى اخراجهم محمد بن مسلمة، وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فقال لهم رسول الله (ﷺ): «اخرجوا ولكم دماؤكم، وما حملت الإبل إلا الحَلَقة» فقبض رسول الله (ﷺ) الأموال والحَلْقة، فوجد من الحلقة خمسين درعًا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفًا، وكان بنو النضير صفيًا لرسول الله (ﷺ) خالصةً له حُبْسًا لنوائبه، ولم يخمسها ولم يُسْهِم منها لأحد، وقد أعطى ناسًا منها.

* * *

غزوة بدر الموعد، أو بدر الصغرى(١)

وذلك أن أبا سفيان لما أراد أن ينصرف يوم أحد: نادى الموعد بيننا وبينكم بدرُ الصَّفراءُ رأسَ الحول نلتقي بها فنقتتل، فقال رسول الله (ﷺ) لعمر: «قُلْ نَعَمْ إن شاء الله». فافترق الناس على ذلك، وتهيأت قريش للخروج، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وقدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكَّة، فقال له أبو سفيان: إني قد واعدتُ محمدًا وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد جاء ذلك الوقت، وهذا عامٌ جَدْبٌ، وإنَّما يُصلحنا عامٌ خِصْبٌ، وأَكره أَن يخرج محمد ولا أَخرج فيجترىء علينا فنجعل لك عشرين فريضة يضمَنها لك سُهَيل بن عمرو على أَنْ تقدم المدينة فَتُخَذِّل أَصحاب محمد، قال: نعم. ففعلوا وحملوه على بعير، فأَسرع السَّير، وقدم المدينة فأَخبرهم بجمع أَبي سفيان لهم وما معه من العُدة والسلاح.

فقال رسول الله (ﷺ): «والذي نفسي بيده لأَخْرجنَّ وإن لم يخرج معي أحد». واستخلف رسول الله (ﷺ) على المدينة عبد الله بن رواحة،

(١) - انظر:
- الكامل في التاريخ ٣/ ١٧٥-١٧٦
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٠٤
- المغازي للواقدي ١/ ٣٨٤
- السيرة النبوية ٣/ ١٦٠ .
- البداية والنهاية ٤/ ٨٩ .

وحمل لواءهُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسار معه ألف وخمسمائة، والخيل عشرة أفراس، وخرجوا ببضائع لهم وتجارات، وكانت بدر الصغرى مجتمعًا يجتمع فيه العرب وسوقًا تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان تخلو منه، ثم يتفرق الناس إلى بلادهم، فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقامت السوق صبيحة الهلال، فأقاموا بها ثمانية أيام وباعوا تجاراتهم وَرَبحُوا للدرهم درهمًا، وانصرفوا وقد سمع الناس بمسيرهم، وخرج أبو سفيان من مكة في قريش وهم ألفان ومعه خمسون فرسًا، حتى انتهوا إلى مَجَنَّة – وهي وراء الظهران – ثم قال: ارجعوا فإنَّه لا يُصلحنا إلا عَامُ خِصْبٍ نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وهذا عام جَدْبٌ، فسمى أهلُ مكة ذلك الجيش جيشَ السَّوِيق، يقولون: خرجوا يشربون السَّوِيق، فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد نهيتك أن تَعدَ القومَ، وقد اجترأوا علينا ورأونا قد أخلفناهم، ثم أخذوا في الكيد والتهيؤ لغزاة الخندق.

* * *

غزوة الرَّجِيع[1]

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع.

كان سببها أنّ رهطًا من عَضَل والقارة قدموا على النبيّ، (ﷺ)، قالوا: «إنّ فينا إسلامًا فابعثْ لنا نفرًا يفقّهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن. فبعث معهم ستّة نفر وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، وقيل: مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، فلمّا كانوا بالهَدْأة غدروا واستصرخوا عليهم حيًّا من هُذيل يقال لهم بنو لِحْيان، فبعثوا لهم مائة رجل، فالتجأ المسلمون إلى جبل فاستنزلوهم وأعطوهم العهد، فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافر، اللهمّ خبّر نبيّك عنّا! وقاتلهم هو ومرثد وخالد بن البُكَير، ونزل إليهم ابن الدَّثِنة وخُبَيب بن عديّ ورجل آخر فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أوّل الغدر، والله لا أتبعكم! فقتلوه وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة فباعوهما بمكّة، فأخذ خُبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأُحُد، فأخذوه ليقتلوه بالحارث، فبينما خبيب عند بنات الحارث استعار من بعضهنّ موسى يَستحدّ بها للقتل، فدبّ صبيّ لها فجلس على

(١) - انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٧-١٦٨.
- تاريخ الطبري ٢/ ٧٧ .
- البداية والنهاية ٤/ ٦٤ .
- السيرة النبوية ٣/ ١٢٣ .

فخذ خبيب والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خبيب: أتخشين أن أقتله؟ إنّ الغدر ليس من شأننا. فكانت المرأة تقول: ما رأيتُ أسيرًا خيرًا من خُبيب، لقد رأيتُهُ وما بمكّة ثَمَرة وإنّ في يده لَقِطْفًا من عنب يأكله ما كان إلّا رزقًا رزقه الله خُبيبًا.

فلمّا خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال: ردّوني أُصَلِّ ركعَتَين، فتركوه، فصلاّهما، فجرتْ سُنّة لمن قُتل صبرًا، ثمّ قال خُبيب: لولا أن تقولوا جزِع لزِدتُ، وقال أبياتًا، منها:

ولستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مُسلمًا ... على أيّ شيء كان في اللهِ مصرَعي
وذلك في ذات الإلهِ وإنْ يَشأ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ ممزَّعِ

اللهمّ أحصهم عددًا، واقتلهم بَدَدًا! ثمّ صلبوه.

وأمّا عاصم بن ثابت فإنّهم أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد، وكانت نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم لأنّه قتل ابنَيْها بأُحُد، فجاءت النحل فمنعته، فقالوا: دَعوه حتى يُمسي فنأخذه. فبعث الله الوادي فاحتمل عاصمًا، وكان عاهد الله أن لا يمسّ مشركًا ولا يمسّه مشرك، فمنعه الله في مماته كما مُنع في حياته.

وأمّا ابن الدَّثِنَة فإنّ صفوان بن أميّة بعث به مع غلامه نسطاس إلى التّنعيم ليقتله بابنَيْه، فقال نسطاس: أنشدك الله أتحبّ أنّ محمّدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنّك في أهلك؟ قال: ما أحبّ أنّ محمّدًا الآن مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحدًا يحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمّد محمّدًا. ثمّ قتله نسطاس.

* * *

غزوة ذات الرِّقاع[1]

أقام رسول الله، (ﷺ)، بالمدينة بعد بني النّضير شهرَي ربيع، ثمّ غزا نجدًا يريد بني مُحارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلاً، وهي غزوة الرِّقاع، سُمّيت بذلك لأجل جبل كانت الوقعة به فيه سواد وبياض وحمرة، فاستخلف على المدينة عثمان بن عفّان، فلقي المشركين ولم يكن قتال، وخاف الناس بعضهم بعضًا، فنزلت صلاة الخوف، وقد اختلف الرواة في صلاة الخوف، وهو مستقصى في كتب الفقه.

وجاء رجل من مُحارب إلى النبيّ، (ﷺ)، فطلب منه أن ينظر إلى سيفه، فأعطاه السيف، فلمّا أخذه وهزّه قال: يا محمّد أما تخافني؟ قال: لا. قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمنعني الله منك، فردّ السيف إليه.

وأصاب المسلمون امرأة منهم، وكان زوجها غائبًا، فلمّا أتى أهلَه

(١) - انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٧٤-١٧٥.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢١٤.
- المغازي للواقدي ١/ ٣٩٥
- تاريخ الطبري ٢/ ٨٥ .
- السيرة النبوية ٣/ ١٥٥ .
- البداية والنهاية ٤/ ٨٤ .

أُخبر الخبر، فحلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب النبيّ، (ﷺ)، دمًا، وخرج يتبع أثر رسول الله، (ﷺ)، فنزل رسول الله، (ﷺ)، فقال: مَنْ يحرسنا الليلة؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فأقاما بفم شعب نزله رسول الله، (ﷺ)، واضطجع المهاجريّ وحرس الأنصاريُّ أوّل الليل وقام يصلّي، وجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنّه ربيئة القوم فرماه بسهم فوضعه فيه فانتزعه وثبت قائمًا يصلّي، ثمّ رماه بسهم آخر فأصابه فنزعه وثبت يصلّي، ثمّ رماه بالثالث فوضعه فيه فانتزعه ثمّ ركع وسجد، ، ثمّ أيقظ صاحبه وأعلمه، فوثب، فلمّا رآهما الرجل علم أنّهما علما به، فلمّا رأى المهاجريُّ ما بالأنصاريّ قال: سبحان الله ألا أيقظتني أوّل ما رماك؟ قال: كنتُ في سورة أقرأها فلم أحبّ أن أقطعها، فلمّا تابع عليّ الرميَ أعلمتك، وايمُ الله لولا خوفي أن أضيع ثغرًا أمرني رسول الله، (ﷺ)، بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها.

وقيل: إنّ هذه الغزوة كانت في المحرّم سنة خمس من الهجرة.

* * *

الفصل الثامن عشر

غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب[1]

حدثت هذه الغزوة في ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة، وذلك أنّ رسول الله (ﷺ) لمّا أجلى بني النضير ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم ووجوههم إلى مكة، فالتقوا قريشًا ودعوهم إلى الخروج، واجتمعوا معهم على قتاله، وواعدوهم لذلك موعدًا، ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسليم ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم أبو سفيان ووافتهم بنو سليم بمرِّ الظهران، وهم سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد وخرجت فزارة وهم ألف، يقودهم عقبة بن حصين، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رُخيلة، وخرجت بنو مُرة، وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف.

---

(١) - انظر:

- الكامل في التاريخ ٢/١٧٨-١٨٤
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٢٧
- البداية والنهاية ٤/ ٩٤ .
- السيرة النبوية ٣/ ١٦٥ .
- تاريخ الطبري ٢/ ٩٠ . .

وروى الزهري أن الحارث رجع ببني مرة، فلم يشهد الخندق منهم أحد، والأول أثبت.

وكان جميع من وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر، والجملة بيد أبي سفيان فلما بلغ رسول الله (ﷺ) فصولهم من مكة، ندبَ الناسَ، وأخبرهم خبرهم وشاورهم، فأشار سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين وعسكر بهم رسول الله (ﷺ) إلى سفح سَلْع، وجعل سَلْعًا خلف ظهره، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. ثم خَنْدَقَ على المدينة، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم، وعمل رسول الله (ﷺ) معهم بيده لينشطوا، ففرغوا منه في ستة أيام.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدَّثنا محمد بن أحمد بن الحسن، قال: حدَّثنا إسحاق بن الحسن الحربي، قال: أخبرنا هوذة بن خليفة، قال: أخبرنا عوف، عن ميمون، قال: حدَّثني البراء بن عازب، قال:

لما كان حين أمرنا رسول الله (ﷺ) بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكينا ذلك إلى رسول الله (ﷺ)، فجاء رسول الله (ﷺ) فلما رآها ألقى ثوبه وأخذ المعول وقال: بسم الله، ثم ضرب ضربة، فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثًا آخر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني

لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لابصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة.

قال علماء السير: وخرج رسول الله (ﷺ) يوم الاثنين لثماني ليال مضين من ذي القعدة، وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة، ودسَّ أبو سفيان بن حرب حُيَيّ بن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله (ﷺ) ويكونوا معهم عليه، فامتنعوا ثم أجابوا، وبلغ ذلك رسول الله (ﷺ)، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، وفشل الناس وعظم البلاء واشتد الخوف وخيف على الذراري والنساء، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ﴾[1].

وبعث رسول الله (ﷺ) إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه، وكتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة، وإنما كانت مراوضة ومراجعة، فبعث رسول الله (ﷺ) إلى سعد بن معاذ، وابن عبادة فأخبرهما بذلك فقالا: هذا شيء تحبه أو شيء أمرك الله به، قال: لا بل أصنعه لأجلكم، فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فقالا: قد كنا نحن وهم على الشرك، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرةً، فحين أذن الله بالاسلام نفعل هذا؟! ما لنا إلى هذا حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا. قال: فأنتم وذاك، فتناول سعد الصحيفة التي كتبوها فمحاها، وقال ليجهدوا علينا، وأقام رسول الله (ﷺ) والمسلمين وجاه العدو لا يزولون غير أنهم يعتقبون خندقهم

(١) سورة الأحزاب: آية ١٠ .

ويحرسونه، وكان رسول الله (ﷺ) يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد ابن حارثة في ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وكانوا يخافون على الذراري من بني قريظة وكان عباد بن بشر على حرس قُبَّة رسول الله (ﷺ) مع عشرة من الأنصار يحرسونه كل ليلة، فكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبو سفيان يومًا، ويغدو خالد بن الوليد يومًا ويغدو عمرو بن العاص يومًا، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يومًا، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يومًا، ويغدو ضرار بن الخطاب يومًا، فلا يزالون يجيلون خيلهم ويتفرقون مرة ويجتمعون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول الله (ﷺ) ويقدمون رماتهم فيرمون، فرمى حبان بن العَرِقة سعد بن معاذ بسهم، فأصاب أكحله، فقال: خذها وأنا ابن العَرِقة فقال رسول الله (ﷺ): «عَرَّقَ الله وجهَك في النار»، ويقال: الذي رماه أبو أسامة الجُشَمي.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد أخبرنا يزيد بن هارون. وأخبرنا عاليا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده، عن عائشة، قالت:

خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فسمعت وئيد الأرض من ورائي – يعني حسَّ الأرض – فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل رمحه، فجلست إلى الأرض، فمر سعد وهو يرتجر، ويقول:

لَبِّثْ قَلِيلاً يُدْرِكِ الهَيْجَا حَمَلْ   مَا أَحْسَنَ المَوْتَ إذَا حَانَ الأَجَلْ

قالت: وعليه درع قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، وكان سعد من أطول الناس وأعظمهم قالت: فقمت فاقتحمت حديقة؛ فإذا فيها نفر من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تَسْبِغَة له - تعني المغفر - قالت فقال لي عمر: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون تحوُّزٌ أو بلاءٌ؟ قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انْشَقَّتْ ساعتئذ فدخلتُ فيها، قالت: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه، فإذا طلحة بن عبيد الله، فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز وأين الفرار إلا إلى الله؟ قالت: ويرمي سعدًا رجلٌ من المشركين من قريش يقال له ابن العَرِقَة بسهم، فقال: خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله، فدعا الله عز وجل سعد، فقال: اللهم لا تُمِتْني حتى تشفيني من قريظ - وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية - قالت: فَرَقَأَ كَلْمُه وبعث الله تعالى الريح على المشركين، ﴿فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويًا عزيزًا﴾[1].

قال مؤلف الكتاب: العرقة أم حبان بن عبد مناف بن منقد بن عمر وسميت العرقة لطيب ريحها.

قال علماء السير: لما حام الأحزاب حول الخندق أيامًا أجمع رؤساؤهم أن يغدوا يومًا، فغدوا جميعًا، وطلبوا مضيقًا من الخندق يقحمون فيه خيلهم فلم يجدوا، فقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها، فقيل لهم: إن معه رجلاً فارسيًا فهو أشار عليه بذلك فصاروا إلى مكان ضيق فَعَبَر عكرمة ونوفل وضرار وهبيرة، وعمرو بن عبد وُدّ، فجعل عمرو يدعو إلى البراز، وهو ابن تسعين سنة، فقال علي رضي الله عنه: أنا

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٥ .

أبارزه، فأعطاه النبي (ﷺ) سيفه وعممه، وقال: «اللهمَّ أَعِنْهُ عليه»، فضربه علي فقتله، وولى أصحابه هاربين، وحمل الزبير على نوفل فقتله.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا ابن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سلمان بن داود، قال: أخبرنا الزبير بن بكار، قال:

عمرو بن عبد وُدٌ، وضرار بن الخطاب، وعكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة هم الذين طفروا الخندق يوم الأحزاب، وفي ذلك يقول الشاعر:

عمرُو بن وُدٌ كان أوّل فارس جزع المزَاد وكان فارسَ يَليل

قال مؤلف الكتاب: المزاد، موضع من الخندق فيه حفر، ويليل، واد قريب من بدر.

ولما جزع عمرو بن عبد المزاد دعى البراز، وقال يرتجز:

ولقد بُحِحتُ من النداءِ بجمعكم: هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجا ع بموقف البطل المناجز

إني كذلك لم أزل متسرِّعًا نحو الهزاهز

إن الشجاعة والسمـ ـاحة في الفتى خير الغرائز

فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم أجابه يقول:

لا تعجلنّ فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيّة وبصيرة والصدق منجي كل فائز

إني لأرجو أن أقيـ ـم عليك نائحة الجنائز

من ضربة فوهاء يبـ ـقى ذكرها عند الهزاهز

ثم دعاه أن يبارزه، فقال له علي: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لقريش لا يدعوك رجل إلى خلتين إلا أخذت احداهما، قال عمرو: نعم، قال علي رضي الله عنه: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، فقال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى المبارزة. قال: يا ابن أخي، والله ما أحب أن أقتلك، فقال له علي: لكني والله أنا أحب أن أقتلك فحمي عمرو واقتحم عن فرسه وعرقبه، ثم أقبل فتناورا وتجاولا وثارت عليهما غبرة سترتهما عن المسلمين، فلم يرع المسلمين إلا التكبير، فعرفوا أن عليًا رضي الله عنه قتله، فانجلت الغبرة وعليّ على صدره يذبحه.

قال علماء السير: لما قتل عمرو رثته أمه، فقالت:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ما زلت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله من لا يقاد به من كان يُدعى أبوه بيضة البلد

ثم تواعدا أن يأتوا من الغد، فباتوا يعبئون أصحابهم ونحوا إلى رسول الله (ﷺ) كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقاتلوهم يومهم ذلك إلى هُوِيٍّ من الليل ما يقدرون أن يزولوا عن مكانهم، ولا صلى رسول الله (ﷺ) يومئذ ظهرًا ولا عصرًا حتى كشفهم الله عز وجل، فرجعوا منهزمين، فلم يكن لهم بعد ذلك قتال - يعني انصرفوا - إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون في الغارة، فقال النبي (ﷺ) في ذلك اليوم الذي فاتته الصلاة فيه: «شغلونا عن الصلاة الوسطى».

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: أخبرنا أبو معاوية، قال: أخبرنا الأَعْمَش، عن مسلم بن صُبَيْح، عن شُتَيْر بن شَكَل، عن علي قال:

قال رسول الله (ﷺ) يوم الاحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطَى صلاة العصر، ملأَ الله قبورَهم وبيوتَهم نارًا»، ثم صلاها بين العشاءين، المغرب والعشاء. أخرجاه في الصحيحين.

وحُصِر رسول الله (ﷺ) وأصحابه بضع عشرة ليلة، وقيل: أربعًا وعشرين ليلة، حتى خلص إلى كل أمر منهم الكَرْبُ. ودعا رسول الله (ﷺ) في مسجد الأحزاب. ويروى في مسجد الفتح.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: أخبرنا أبو عامر، قال: أخبرنا كثير بن زيد، قال: حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: حدَّثني جابر:

أن النبي (ﷺ) دعا في مسجد الفتح ثلاثًا: يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرف البشر في وجهه. قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة، فأدعو فيها فأعرف الإجابة.

قالوا: وكان نُعيم بن مسعود الأشجعي قد أسلم وَحَسُنَ إسلامه، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان فخذل بينهم.

فأنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسن بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر.

وبه قال أخبرنا عبد الله بن عاصم الأشجعي، عن أبيه، قال: قال نعيم ابن مسعود:

لما سارت الأحزاب إلى رسول الله (ﷺ) سرت مع قومي وأنا على ديني، فقذف الله في قلبي الإسلام، فكتمتُ ذلك قومي، وأخرج حتى آتي رسول الله (ﷺ) بين المغرب والعشاء فأجده يصلي، فلما رآني جلس، وقال: «ما جاء بك يا نعيم»؟ وكان بي عارفًا، قلت: إني جئت أصدقك، وأشهد أن ما جئت به حق، فمرني بما شئت، قال: «ما استطعت أن تخذل عنا الناس فخذل، قلت: أفعل، ولكن يا رسول الله ما أقول، قال: «قل ما بدا لك فأنت في حل»، قال: فذهبت إلى قريظة، فقلت: اكتموا عليّ، قالوا: نفعل، فقلت: إن قريشًا وغطفان على الانصراف عن محمد (ﷺ) إن أصابوا فُرْصَةً انتهزوها وإلا انصرفوا إلى بلادهم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناء، قالوا: أشرت علينا والنصح لنا، ثم خرجت إلى أبي سفيان بن حرب، فقلت قد جئتك بنصيحة فاكتم علي، قال: أفعل، قلت: تعلم أن قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد، (ﷺ) وأرادوا إصلاحه ومراجعته، فأرسلوا إليه وأنا عندهم إنا سنأخذ من قريش وغطفان سبعين رجلاً من أشرافهم نُسلِّمهم إليك، تضرب أعناقهم ونكون معك على قريش وغطفان حتى نردهم عنك، وترد جَناحَنا الذي كسرت إلى ديارهم - يعني بني النضير - فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهنًا فلا تدفعوا إليهم أحدًا واحذروهم، ثم أتى غطفان، فقال لهم مثل ذلك، وكان رجلاً منهم فصدقوه، وأرسلت قريظة إلى قريش: إنا والله ما نخرج فنقاتل محمدًا (ﷺ) حتى تعطونا رهنًا منكم يكونون عندنا، فإنا نتخوف أن تنكشفوا وتدعونا ومحمدًا، فقال أبو سفيان: صدق نعيم. وأرسلوا إلى غطفان بمثل ما أرسلوا إلى قريش، فقالوا لهم مثل ذلك، وقالوا جميعًا: إنا والله ما نعطيكم رهنًا ولكن أخرجوا فقاتلوا معنا. فقالت اليهود: نحلف بالتوراة أن الخبر الذي قال نُعيم لَحَقٌّ، وجعلت قريش وغطفان يقولون: الخبر ما قال نعيم،

ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء، وهؤلاء من نصر هؤلاء. واختلف أمرهم وتفرقوا في كل وجه، وكان نعيم يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله (ﷺ) على سره.

قال علماء السير: فلما استوحش كل فريق من صاحبه، اعتلَّت قريظة بالسبت، فقالوا: لا نقاتل، وهبت ليلة السبت ريح شديدة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مُقامٍ، لقد هلك الخُفُّ والحافر، وأَجدب الجناب وأخلفتنا بنو قُريظة، ولقد لقِينا من الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل، فأصبح رسول الله (ﷺ) وليس بحضرته أحدٌ من العساكر قد انقشعوا، فبعث رسول الله (ﷺ) حذيفة لينظر ما فعل القوم.

فروى مسلم في إفراده من حديث إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله (ﷺ) قاتلت معهُ وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك، لقد رأيتنا مع رسول الله (ﷺ) ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وَقُرٌ، فقال رسول الله (ﷺ) «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا ولم يقم قائم، فقال: «قم يا حذيفة» فلم أجدْ بدًا إذ دعاني باسمي إلا أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبر القوم ولا تَذْعَرْهُمْ عليّ»، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يُصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله، (ﷺ): «لا تَذْعَرْهُمْ عليَّ» فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته أخبرته خبر القوم وفرغت وقررت،

فألبسني رسول الله، (ﷺ)، من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت، قال (ﷺ): «قم يا نَوْمَانَ».

قال ابن إسحاق: لم يُقتل يوم الخندق من المسلمين إلّا ستة نفر، وقتل من المشركين ثلاثة.

* * *

غزوة بَني قَرُيْظة[1]

لما أصبح رسول الله، (ﷺ)، عاد إلى المدينة ووضع المسلمون السلاح وضرب على سعد بن مُعاذ قبّة في المسجد ليعوده من قريب، فلمّا كان الظهر أتى جبرائيل النبيَّ، (ﷺ)، فقال: أقد وضعت السلاحَ؟ قال: نعم. قال جبرائيل: ما وضعتِ الملائكة السلاح، إنّ الله يأمرك بالمسير إلى بني قُريظة وأنا عامد إليهم. فأمر رسول الله، (ﷺ)، مناديًا فنادى: مَنْ كان سامعًا مطيعًا فلا يصلّين العصر إلّا في بني قُريظة. وقدّم عليًّا إليهم برايته وتلاحق الناس، ونزل رسول الله، (ﷺ)، وأتاه رجال بعد العشاء الأخيرة فصلّوا العصر بها، وما عابهم رسول الله، (ﷺ).

وحاصر بني قُريظة شهرًا أو خمسًا وعشرين ليلة، فلمّا اشتدّ عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله، (ﷺ)، أن تبعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المُنْذر، وهو أنصاريّ من الأوس، نستشيره، فأرسله، فلمّا رأوه قام إليه الرجال وبكى النساء والصبيان، فرقّ لهم، فقالوا: ننزل على حكم رسول الله. فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنّه الذّبح. قال أبو لُبابة: فما زالت

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٨٥.
- تاريخ الطبري ٢/ ٩٨ .
- البداية والنهاية ٤/ ١١٨ .
- السيرة النبوية ٣/ ١٨٣ .

قدماي حتى عرفتُ أنّي خُنتُ الله ورسوله وقلتُ: والله لا أقمتُ بمكان عصيتُ الله فيه. وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال: لا أبرح حتى يتوب الله عليّ. فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله، (ﷺ).

ثمّ نزلوا على حكم رسول الله، (ﷺ)، فقال الأوس: يا رسول الله افعلْ في موالينا مثل ما فعلت في موالي الخزرج، يعني بني قَيْنُقاع، وقد تقدّم ذكرهم. فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن مُعاذ؟ قالوا: بلى. فأتاه قومه فاحتملوه على حمار ثمّ أقبلوا معه إلى رسول الله، (ﷺ)، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسنْ إلى مواليك، فلمّا كثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فعلم كثير منهم أنّه يقتلهم، فلمّا انتهى سعد إلى رسول الله، (ﷺ)، قال: قوموا إلى سيّدكم، أو قال: خيركم، فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا: يا أبا عمرو أحسنْ إلى مواليك فقد ردّ رسول الله، (ﷺ)، الحكم فيهم إليك. فقال سعد: عليكم عهد الله وميثاقه، إنّ الحكم فيهم إليّ؟ قالوا: نعم، فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبيّ، (ﷺ)، وغضّ بصره عن رسول الله إجلالًا وقال: وعلي من ههنا العهد أيضًا؟ فقالوا: نعم. وقال رسول الله، (ﷺ): نعم. قال: فإنّي أحكم أن تُقتل المقاتلة وتُسبى الذرّيّة والنساء وتُقسم الأموال، فقال له رسول الله، (ﷺ): لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعة.

ثمّ استُنزلوا فحُبسوا في دار بنت الحارث امرأة من بني النّجّار. ثمّ خرج رسولُ الله، (ﷺ)، إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثمّ بعث إليهم فضرب أعناقهم فيها، وفيهم حُيَيّ بن أخطب وكعب بن أسد سيّدهم، وكانوا ستّمائة أو سبعمائة، وقيل: ما بين سبعمائة وثمانمائة، وأُتي بحُيَيّ بن أخطب وهو مكتوف، فلمّا رأى النبيّ، (ﷺ)، قال: والله ما لُمْتُ نفسي في

عداوتك ولكنّ مَنْ يخذِل الله يُخْذَلْ. ثمّ قال للناس: إنّه لا بأس بأمر الله، كتابٌ وقدر وملحمة كُتبتْ على بني إسرائيل. فأُجْلس وضُربت عنقه. ولم تُقْتَل منهم إلّا امرأة واحدة قُتلتْ بحدث أحدثته، وقتلت أرفة بنت عارضة منهم.

وأسلم منهم ثعلبة بن سَعْية، وأُسيد بن سعية، وأسد بن عُبيد.

ثمّ قسم رسول الله، (ﷺ)، أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل ممّن ليس له فرس سهم، وكانت الخيل ستّة وثلاثين فرسًا، وأخرج منها الخُمْس، وكان أوّل فيء وقع فيه السُّهمان والخمس. واصطفى رسول الله، (ﷺ)، لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خُنافة من بني قُريظة، فأراد أن يتزوّجها فقالت: اتركني في مِلْكك فهو أخفّ عليّ وعليك. فلمّا انقضى أمر قُريظة انفجر جرح سعد بن مُعاذ واستجاب الله دعاءه، وكان في خيمته التي في المسجد، فحضره رسول الله، (ﷺ)، وأبو بكر وعمر، وقالت عائشة: سمعتُ بكاء أبي بكر وعمر عليه وأنا في حجرتي، وأمّا النبيّ، (ﷺ)، فكان لا يبكي على أحد، كان إذا اشتدّ وجده أخذ بلحيته.

وكان فتح قُريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجّة، وقُتل من المسلمين في الخندق ستّة نفر، وفي قُريظة ثلاثة نفر.

* * *

غزوة دومة الجندل[1]

في ربيع الأوّل من السنة الخامسة للهجرة وذلك أن رسول الله، (ﷺ)، بلغه أن بدُومة الجَنْدل جمعًا كثيرًا، وأَنَّهُم يظلمون من مَرَّ بهم، وكان بين دومة الجندل وبين المدينة مسيرة خمس عشرة ليلة، أو ست عشرة، فندب رسول الله، (ﷺ)، الناس، واستخلف ابن عُرْفَطة، وخرج لخمس ليال بقين من ربيع الأول في ألف من المسلمين، وكان يسير الليل ويكمن النهار، ودليله يقال له مذكور، فهجم على ماشيتهم ورُعاتهم وأصاب من أصاب وهرب من هرب، وتفرق أهل دومة الجندل، ولم يجد بساحتهم أحَدًا، وأخذ منهم رجلًا فسأله عنهم، فقال: هربوا حين سمعوا أنَّك أخذت نَعَمَهم، فعرض عليه الإسلام فأَسلم ورجع رسول الله، (ﷺ)، لعشر ليال بقين من ربيع الآخر، ولم يلق كيدًا.

* * *

(١) انظر:

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢١٥.
- البداية والنهاية ٤/ ٩٣ .
- السيرة النبوية ٣/ ١٦٥ .
- تاريخ الطبري ٢/ ٩٠ .

الفصل الواحد والعشرون:

غزوة بني لِحْيان[1]

في جُمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله، (ﷺ)، إلى بني لِحْيان يطلب بأصحاب الرجيع، خُبَيْب بن عديّ وأصحابه، وأظهر أنّه يريد الشام ليصيب من القوم غِرّةً، وأغذّ السير حتى نزل على غَرَان منازل بني لِحْيان، وهي بين أَمَج وعُسْفان، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال، فلمّا أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل بعُسْفان تخويفًا لأهل مكّة، وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَميم ثمّ عاد قافلاً.

* * *

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٨٨.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٤٩.
- المغازي للواقدي ٢/ ٥٣٥.
- السيرة النبوية ٣/ ٢٢٥.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٠٥.
- البداية والنهاية.

غزاة ذي قَرَد[1]

ثمّ قدم رسول الله، (ﷺ)، المدينة فلم يُقم إلّا أيّامًا قلائل حتى أغار عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاريّ في خيل غطفان على لِقاح النبيّ، وأوّل من نَذِر بهم سَلَمَةُ بن الأكوع الأسلميّ؛ هكذا ذكرها أبو جعفر بعد غزوة بني لِحْيان عن ابن إسحاق، والرواية الصحيحة عن سلمة: أنّها كانت بعد مقدمه المدينة منصرفًا من الحُدَيبِيّة، وبين الوقعَتَين تفاوت.

قال سلمة بن الأكوع: أقبلنا مع النبيّ (ﷺ)، إلى المدينة بعد صلح الحديبية، فبعث رسولُ الله، (ﷺ)، بظَهره[2] مع ربَاح غلامه وخرجتُ معه بفرس طلحة بن عُبيدالله، فلمّا أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاريّ قد أغار على ظهر رسول الله، (ﷺ)، فاستاقه أجمع وقتل راعيه، قلتُ: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحةَ وأخبر النبيّ، (ﷺ)، أنّ المشركين قد أغاروا على سرحه؛ ثمّ استقبلتُ الأكمة فناديتُ ثلاثة أصوات: يا صباحاه! ثمّ خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول:

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ١٨٨-١٩١.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٠٥.
- البداية والنهاية ٤/ ١٥١.
- السيرة النبوية ٣/ ٢٢٧.

(٢) الظّهر: الإبل تُعَدّ للرّكوب أو حمل الثّقل.

خُـذهـا وأنـا ابـنُ الأكْـوَعْ والـيـوْمُ يـوْمُ الـرُّضَّـعْ

قال: فوالله ما زلتُ أرميهم وأعقر بهم، فإذا خرج إليّ فارس قعدتُ في أصل شجرة فرميته فعقرت به، وإذا دخلوا في مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقهم، فما زلتُ كذلك حتى ما تركتُ من ظهر رسول الله، (ﷺ)، بعيرًا إلّا جعلته وراء ظهري، وخلّوا بيني وبينه وألقوا أكثر من ثلاثين رمحًا وثلاثين بُردة يستخفّون بها، لا يُلقُون شيئًا إلّا جعلتُ عليه أمارة، أي علامة، حتى يعرفه أصحاب رسول الله، (ﷺ)، حتى إذا انتهوا إلى متضايق من ثنيّة أتاهم عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر مُمدًّا، فقعدوا يتَضحَّون[1]، فلمّا رآني قال: ما هذا؟ قالوا: لقينا منه البَرْح وقد استنقذ كلّ ما بأيدينا، فما برحتُ مكاني حتى أبصرتُ فوارس رسول الله، (ﷺ)، يتخلّلون الشجر، أوّلهم الأخْرم الأسدي واسمه مُحْرز بن نَضْلة من أسد بن خُزَيْمة وعلى أثره أبو قَتادة وعلى أثرهما المِقْداد بن عمرو الكِنديّ، فأخذت بعنان الأخرم وقلتُ: احذرِ القوم لا يقتطعوك حتى تلحق رسول الله، (ﷺ)، وأصحابه، فقال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة. قال: فخلّيتُهُ، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عُيَيْنَة، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحوّل عبد الرحمن على فرس الأخرم، ولحق أبو قتادة فارسُ رسول الله، (ﷺ)، بعبد الرحمن فطعنه، فانطلقوا هاربين، قال سلمة: فوالذي كرّم وجه محمّد لأتبعنّهم أعدو على رجلَيّ حتى ما أرى من أصحاب محمّد ولا غبارهم شيئًا.

وعدلوا قبل غروب الشمس إلى غار فيه ماء يقال له ذو قَرَد يشربون منه وهم عِطَاش، فنظروا إليّ أعدو في آثارهم فحلّيتهم فما ذاقوا منه قطرة،

---

(١) يتضحّون: أي يأكلون وقت الضُّحى.

قال: واشتدّوا في ثنيّة ذي أبهر فأرشق بعضهم بسهم فيقع في نُغض كتفه، فقلتُ: خذْها وأنا ابنُ الأكوعْ. واليوم يومُ الرُّضَّعْ. وإذا فَرَسان على الثنيّة فجئتُ بهما أقودهما إلى النبيّ، (ﷺ).

ولحقني عمّي عامر بسطيحة فيها مَذْقة من لبن وسطيحة فيها ماء، فتوضّأتُ وصلّيتُ وشربتُ ثمّ جئتُ إلى النبيّ، (ﷺ)، وهو على الماء الذي حلّيتهم عنه بذي قَرَد، وإذا رسول الله، (ﷺ)، قد أخذ تلك الإبل التي استنقذتُ من العدوّ وكلّ رمح وكلّ بُردة، وإذا بلال قد نحر لهم ناقة من الإبل وهو يشوي منها، فقلتُ: يا رسول الله خلّني أنتخب مائة رجل فلا يبقى منهم عين تطرف. فضحك وقال: إنّهم ليُقرونَ بأرض غطفان. فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزورًا، فلمّا كشطوا عنها جلدها رأوا غبارًا فقالوا: أُتيتم، فخرجوا هاربين.

فلمّا أصبحنا قال رسول الله، (ﷺ): خير فرساننا أبو قَتادة، وخير رجالنا سلمة بن الأكوع، ثمّ أعطاني رسول الله، (ﷺ)، سهم الفارس وسهم الراجل، ثمّ أردفني وراءه على العَضْباء. فبينما نحن نسير، وكان رجل من الأنصار لا يُسبَقُ شَدًا، فقال: ألا من مُسابق؟ مرارًا، فقلتُ: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي إيذن لي فلأسابق الرجل. قال: إن شئتَ. قال: فطفرتُ وربطتُ شرفًا أو شرفين فألحقه فقلت: سبقتك والله! فسبقته إلى المدينة، فلم نمكث بها إلّا ثلاثًا حتى خرجنا إلى خَيْبر.

وفي هذه الغزوة نودي: يا خيل الله اركبي، ولم يكن يقال قبلها.

* * *

الفصل الثالث والعشرون:

غزوة بني المُصْطَلِق من خُزاعة[1]

حدثت الغزوة بعد غزوة ذي قَرَد، وكانت في شعبان من سنة ستٍّ، وكان بلغ رسول الله، (ﷺ)، أن بني المُصْطَلِق تجمّعوا له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضِرار أبو جُوَيْرِيَة زوج النبيّ، (ﷺ)، فلمّا سمع بهم خرج إليهم فلقيهم بماء لهم يقال له المُرَيْسيع بناحية قُدَيْد، فاقتتلوا، فانهزم المشركون وقُتل من قُتل منهم وأُصيب رجل من المسلمين من بني ليث بن بكر اسمه هشام بن صُبابة أخو مِقْيَس بن صُبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت بسهم وهو يُرَى أنّه من العدوّ فقتله خطأً، وأصاب رسول الله، (ﷺ)، سبايا كثيرة فقسمها في المسلمين، وفيهم جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرار، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شَمّاس أو لابن عمّ له، فكاتبته عن نفسها، فأتت رسول الله، (ﷺ)، فاستعانته في كتابتها، فقال لها: هل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/١٩٢-١٩٤.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/٢١٨.
- المغازي للواقدي ١/٤٠٤.
- السيرة النبوية ٣/ ٢٣٥.
- البداية والنهاية ٤/١٥٧.
- تاريخ الطبري ٢/١٠٩.

يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوّجك. قالت: نعم يا رسول الله. ففعل، وسمع الناسُ الخبر فقالوا: أصهار رسول الله؛ فأعتقوا أكثر من مائة بيت من أهل بني المصطلق، فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها.

وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطّاب أجيرٌ له من بني غِفار يقال له جَهْجاه، فازدحم هو وسِنان الجُهَنيّ، حليف بني عَوْف من الخزرج، على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنيّ: يا معشر الأنصار! وصرخ جَهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبدُ الله بن أُبَيّ بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السنّ. فقال: أقد فعلوها! قد كاثرونا في بلادنا! أمَا والله ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾[1]! ثمّ أقبل على مَنْ حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم ببلادكم وقاسمتموهم أموالكم! والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير بلادكم.

فسمع ذلك زيد، فمشى به إلى النبيّ، (ﷺ)، وذلك عند فراغ رسول الله، (ﷺ)، من غزوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطّاب، فقال: يا رسول الله مُرْ به عَبّاد بن بِشْر فليقتله. فقال رسول الله، (ﷺ): كيف إذا تحدّث الناس أنّ محمّدًا يقتل أصحابه! ولكن أذّن بالرحيل. فارتحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها ليقطع ما الناس فيه.

فلقيه أُسَيْد بن حُضَير فسَلّم عليه وقال: يا رسول الله لقد رُحْتَ في ساعة لم تكن تروح فيها. فقال: أوَما بلغك ما قال عبدالله بن أُبَيّ؟ قال: وماذا؟ قال: زعم إن رجع إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ. قال أُسَيْد: فأنت والله تُخْرجه إن شئتَ فإنّك العزيز وهو الذليل، ثمّ قال: يا

(١) سورة المنافقون: آية ٨.

رسول الله ارفقْ به فوالله لقد منّ الله بك، وإنّ قومه لينظمون له الخَرَز ليتوّجوه فإنّه ليرى أنّك قد استلبتَهُ مُلْكًا.

وسمع عبدالله بن أُبَيّ أنّ زيدًا أعلم النبيّ، (ﷺ)، قوله فمشى إلى رسول الله، (ﷺ)، فحلف بالله ما قلتُ ما قال ولا تكلّمتُ به. وكان عبدالله في قومه شريفًا، فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أخطأ، وأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾[1]؛ تصديقًا لزيد، فلمّا نزلت أخذ رسولُ الله، (ﷺ)، بأذن زيد وقال: هذا الذي أوفى الله بأُذُنه.

وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول ما كان من أمر أبيه فأتى النبيّ، (ﷺ)، فقال: يا رسول الله بلغني أنّك تريد قتل أبي، فإن كنتَ فاعلاً فمرْني به فأنا أحمل إليك رأسه، وأخشى أن تأمر غيري بقتله فلا تَدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأُدْخَل النار. فقال النبيّ، (ﷺ): بل نرفق به ونُحْسن صحبته ما بقي معنا. فكان بعد ذلك إذا أحدث حدثًا عاتبه قومه وعنّفوه وتوعّدوه، فقال رسول الله، (ﷺ)، لعمر بن الخطّاب حين بلغه ذلك عنهم: كيف ترى ذلك يا عمر؟ أمَا والله لو قتلتُه يوم أمرتَني بقتله لأُرْعِدَتْ له آنُف، لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلتْه. فقال عمر: أمر رسول الله أعظم بركة من أمري.

وفيها قدم مِقْيَس بن صُبابة مسلمًا فيما يُظْهِر، فقال: يا رسول الله جئتُ مسلمًا وجئت أطلب دية أخي، وكان قُتل خطأً؛ فأمر له بدية أخيه هشام بن صُبابة، وقد تقدّم ذكر قتله آنفًا، فأقام عند رسول الله، (ﷺ)، غير كثير، ثمّ عدا على قاتل أخيه فقتله ثمّ خرج إلى مكّة مرتدًّا فقال:

شَفَى النفسَ أن قد باتَ في القاعِ مُسنَدًا ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْه دماءُ الأخادعِ

(١) سورة المنافقون: آية ١.

وكانتْ هُمُومُ النّفس من قبلِ قتله   تُلِمّ فتَحميني وِطاءَ المَضاجعِ
حللتُ به نذري وأدركتُ ثُؤرَتي   وكنتُ إلى الأصنامِ أوّلُ راجعِ

* * *

غزوة الحديبية[1]

حدثت هذه الغزوة في السنة السادسة للهجرة، وذلك أن رسول الله، (ﷺ)، خرج للعمرة في ذي القعدة سنة ست، فاستنفر رسول الله (ﷺ) أصحابه للخروج معه، فأسرعوا وتهيأوا، ودخل رسول الله (ﷺ) بيته فاغتسل ولبس ثوبين، وركب راحلته القصواء، وخرج في يوم الإثنين لهلال ذي القعدة، واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم، ولم يخرج بسلاح إلا السيوف في القرب، وساق بُدْنًا، وساق أصحابه أيضًا بُدْنًا، فصلى الظهر بذي الحُليفة، ثم دعا بالبُدن التي ساق فَجُلِّلَت ثم أشعرها في الشق الأيمن وقلَّدها وأشعر أصحابُه أيضًا، وهي سبعون بدنة فيها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر ليغيظ المشركين بذلك، وأحرم ولبى، وقدَّم عَبَّادَ بن بِشْر أمامه طَلِيعةً في عشرين فرسًا من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه من المسلمين ألف وستمائة، ويقال: ألف وأربعمائة، ويقال: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً، وأخرج معه زوجته أم سلمة رضي الله عنها، وبلغ المشركين خروجه فأجمعوا رأيهم

(١) انظر:
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٦٧-٢٦٩.
- الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٠.
- المغازي للواقدي ٢/ ٥١٧.
- السيرة النبوية ٣/ ٢٥٥.
- البداية والنهاية ٤/ ١٦٦.

على صده عن المسجد الحرام، وعسكروا ببلدح وقدموا مائتي فارس إلى كُراع الغَميم، وعليهم خالد بن الوليد، ويقال: عكرمة بن أبي جهل، ودخل بُسر بن سفيان الخُزَاعي مكة فسمع كلامهم وعرف رأيهم، فرجع إلى النبي (ﷺ) فلقيه بغدير الأشطاط من وراء عسفان فأخبره بذلك.

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله، (ﷺ)، فأمر رسول الله (ﷺ) عباد بن بشر فتقدم في خيله فأقام بإزائه وصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر، وصلى رسول الله، (ﷺ)، بأصحابه صلاة الخوف، وسار حتى دنا من الحديبية - وهي طَرَف الحَرَم على تسعة أميال من مكّة - فوقفت به راحلته على ثنية تُهبُطُ على غائط القوم فبركت. فقال المسلمون: حَلْ حَلْ، يزجرونها، فأبت، فقالوا: خَلأَتِ[1] القصواءُ، فقال النبي، (ﷺ): «ما خَلأَت، ولكن حَبَسَهَا حابس الفيلِ، أما والله لا يسألوني اليوم خُطَّةً فيها تعظيم حُرْمَةِ الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجرها، فقامت فولى راجعًا عَوْدَهُ على بَدْئه حتى نزل بالناس على ثَمَد من أثماد الحديبية قليل الماء، فانتزع سهمًا من كنانته فغرزه فيها فجاشت[2] لهم بالرَّواء[3] حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسًا على شفير البئر.

ومطر رسول الله، (ﷺ)، بالحديبية مرارًا، وكثرت المياه. وجاءه بديل بن ورقاء وركب معه فسلموا وقالوا: جئناك من عند قومك: كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، معهم العوذ والمطافيل والنساء والصبيان يقسمون بالله لا يخلون بينه وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم، فقال رسول الله، (ﷺ): لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا

(١) خلأت: بركت.

(٢) جاشت: ارتفعت.

(٣) الرواء، بفتح الراء: الكثير.

لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قتلناه.

فرجع بديل فأخبر بذلك قريشًا، فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي فكلّمه رسول الله (ﷺ) بنحو ذلك، فأخبر قريشًا، فقالوا: نَرُدُّه عن البيت في عامنا هذا ويرجع من قابل فيدخل مكة ويطوف بالبيت.

وبعث رسول الله (ﷺ) إلى قريش خراش بن أمية ليُخبرهم بما جاء له، فأرادوا قتله، فمنعه من هناك من قومه، فأرسل عثمان بن عفان، فقال: اذهبْ إلى قريش فأَخْبِرْهم أنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زوارًا لهذا البيت معظمين لحرمته، معنا الهَدْيُ نَنحره وننصرف، فأتاهم وأخبرهم، فقالوا: لا كان هذا أبدًا ولا يدخلها العام.

وبلغ رسول الله، (ﷺ)، أن عثمان قد قُتل، فذلك حين دعا المسلمين إلى بيعة الرضوان فبايعهم تحت الشجرة وبايع لعثمان فضربَ بشماله على يمينه لعثمان، وقال: إنه ذهب في حاجة الله ورسوله. وجعلت الرسل تختلف بينهم، فأجمعوا على الصلح، فبعثوا سُهَيل بن عمرو في عدَّة رجالهم فصالحه على ذلك، وكتبوا بينهم:

«وهذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله وسُهيل بن عمرو، واصطلحا على وَضْعِ الحَرْبِ عشرَ سِنين يأْمَن فيها الناس وَيَكُفّ بعضُهم عن بعض، على أنه لا إسلالَ ولا إغلال وأنّ بيننا عيْبَة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم فعل، وأنه من أتى محمدًا منهم بغير إذن وليه ردَّه إليه، وأنه من أتى قريشًا من أصحاب محمد لم يردّوه، وأن محمدًا يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا قابلًا في أصحابه فيقيم بها ثلاثًا، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب».

غزوة خيبر[1]

لما عاد رسول الله، (ﷺ)، من الحُدَيْبية أقام بالمدينة ذا الحجّة وبعض المحرّم وسار إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، وكان مسيره إلى خيبر في المحرّم سنة سبع، واستخلف على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطة الغِفاريّ، فمضى حتى نزل بجيشه بالرّجيع ليحول بين أهل خيبر وغَطَفَان لأنّهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله، (ﷺ)، وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهودَ عليه، ثمّ خافوا المسلمين أن يخلّفوهم في أهليهم وأموالهم، فرجعوا ونزلوا بين رسول الله، (ﷺ)، ويهود، فسار رسول الله، (ﷺ)، وقال في مسيره لعامر بن الأكْوَع، عمّ سلمة بن عمرو ابن الأكوع: احْدُ لنا، فنزِل وحداهم يقول:

وَاللهِ لَوْلا اللهُ ما اهْتَدَيْنَا ... وَلا تَصَدّقنا وَلا صَلّيْنَا

فأنْزِلَنْ سكينَةً عَلَيْنا ... وثَبِّتِ الأقْدامَ إنْ لاقَيْنَا

فقال له رسول الله، (ﷺ): رحمك الله! فقال له عمر: هلاّ أمتعتَنا به يا رسول الله! وكان إذا قالها لرجل قُتل، فلمّا نازلوا خيبر بارز عامر فعاد عليه

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/٢١٦.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٣٥.
- البداية والنهاية ٤/ ١٨٣.
- السيرة النبوية ٣/ ٢٨٤.

سيفه فجرحه جرحًا شديدًا، فمات منه، فقال النّاس: إنّه قتل نفسه. فقال سلمة ابن أخيه للنبيّ، (ﷺ)، ما قالوا فقال: كذبوا بل له أجره مرّتين. فلمّا أشرف عليها قال لأصحابه: قفوا. ثمّ قال: اللهمّ ربّ السموات وما أظلَلْنَ، وربّ الأرضين وما أقلَلْنَ، وربّ الشياطين و ما أضلَلْنَ، وربّ الرياح وما أذرَيْنَ، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها، أقدموا بسم الله. وكان يقول ذلك لكلّ قرية يقدمها.

ونزل على خيبر ليلاً ولم يعلم أهلها فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم، فلمّا رأوه عادوا وقالوا: محمّد والخميس، يعنون الجيش، فقال النبيّ، (ﷺ): الله أكبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾[1]. ثمّ حصرهم وضيّق عليهم وبدأ بالأموال يأخذها مالاً مالاً ويفتحها حصنًا حصنًا، فكان أوّل حصن افتتحه حصن ناعم، وعنده قُتل محمود بن سلمة، أُلقي عليه منه رحًى فقتلته، ثمّ القَمُوص حصن بني أبي الحُقَيْق، وأصاب منهم رسول الله، (ﷺ)، سبايا، منهم صفيّة بنت حُيَيّ بن أخْطَب، وكانت عند كِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، فاصطفاها رسول الله، (ﷺ)، لنفسه، وفشت السبايا في المسلمين، وأكلوا لحوم الحمر الأنسيّة، فنهاهم رسول الله، (ﷺ)، عنها.

وكان الزَّبير بن باطا القُرَظيّ قد منّ على ثابت بن قيس بن شَمّاس في الجاهليّة يوم بُعاث، فأطلقه، فلمّا كان الآن أتاه ثابت فقال له: أتعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك! قال: أريد أن أجزيك بيدك عندي. قال: إنّ الكريم يجزي الكريم. فأتى ثابت رسول الله، (ﷺ)، فقال: كان للزَّبير عندي يد أريد أن أجزيه فهبْه لي. فوهبه له. فأتاه فقال له: إنّ النبيّ،

(١) سورة الصافات: آية ١٧٧ .

(ﷺ)، قد وهب لي دمك فهو لك. قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فاستوهب ثابت أهله وولده من رسول الله، (ﷺ)، فوهبهم له. فقال الزّبير: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم؛ فاستوهب ثابت ماله من رسول الله، (ﷺ)، فوهبه له، فمنّ عليه بالجميع.

فقال الزّبير: أي ثابت ما فعل الذي كان وجهُه مرآة ثقيلة يتراءى فيها عذارى الحيّ كعب بن أسد؟ قال: قُتل. قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُيَيّ بن أخْطب؟ قال: قُتل. قال: فما فعل مقدّمتنا إذا شددنا وحاميتُنا إذا كررنا عَزّال بن سَمْوال؟ قال: قُتل. قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قُرَيْظة وبني عمرو بن قريظة. قال: ذهبوا. قال: فإنّي أسألك يا ثابت بيدي عندك إلّا ما ألحقتني بهم، فوالله ما في العيش بعدهم خير. فقتله.

ثمّ افتتح رسول الله، (ﷺ)، حصن الصَّعب، وهو أكثرها طعامًا وودكًا، ثمّ قصد حصنهم الوطيح والسُّلالم، وكانا آخر ما افتتح. فخرج منه مَرْحب اليهوديّ وهو يقول:

قد عِلمتْ خيبرُ أنّي مَرْحَبُ شاكي السّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أطعنُ أحيانًا وحِينًا أضربُ إذا اللّيوثُ أقبلَتْ تَلَهَّبُ
كانَ حِمَاي كالحِمَى لا يُقْرَبُ

وسأل المبارزة، فخرج إليه محمّد بن مَسْلمة وقال: أنا والله الموتور الثائر، قتلوا أخي بالأمس. فأقّره رسول الله، (ﷺ)، بمبارزته وقال: اللّهمّ أعِنْهُ عليه، فخرج إليه فتقاتلا طويلًا، ثمّ حمل مرحب على محمّد بن مسلمة فضربه، فاتّقاه بالدَّرَقة، فوقع سيفه فيها، فعضّت به فأمسكته، وضربه محمّد بن مسلمة حتى قتله. ثمّ خرج بعده أخوه ياسر وهو يقول:

قد علمَتْ خيبرُ أنّي ياسرُ   شاكي السّلاح بَطَلٌ مُغاوِرُ

وطلب المبارزة، فخرج إليه الزُّبَير بن العوّام، فقتله الزُّبير.

وقيل: إنّ الذي قتل مرحبًا وأخذ الحصن عليّ بن أبي طالب، وهو الأشهر والأصحّ.

قال بُرَيْدة الأسلميّ: كان رسول الله، (ﷺ)، ربّما أخذتْه الشقيقة فيلبث اليوم واليومَين لا يخرج، فلمّا نزل خيبر أخذته فلم يخرج إلى النّاس، فأخذ أبو بكر الراية من رسول الله، (ﷺ)، ثمّ نهض فقاتل قتالًا شديدًا، ثمّ رجع فأخذها عمر فقاتل قتالًا شديدًا هو أشدّ من القتال الأوّل؛ ثمّ رجع فأُخبر بذلك رسول الله، (ﷺ)، فقال: أمَا والله لأعطينّها غدًا رجلًا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يأخذها عنوةً. وليس ثَمّ عليّ، كان قد تخلّف بالمدينة لرمد لحقه، فلمّا قال رسول الله، (ﷺ)، مقالته هذه تطاولت لها قريش، فأصبح فجاء عليّ على بعير له حتى أناخ قريبًا من خباء رسول الله، (ﷺ)، وهو أرمد قد عصب عينَيْه، فقال رسول الله، (ﷺ): ما لك؟ قال: رمدتُ بعدك. فقال له: ادنُ مني. فدنا منه، فتفل في عينيه، فما شكا وجعًا حتى مضى لسبيله. ثمّ أعطاه الراية، فنهض بها وعليه حلّة حمراء، فأتى خيبر، فأشرف عليه رجل من يهود فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقال اليهوديّ: غُلبتم يا معشر يهود. وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانيّ قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول:

قد علمَتْ خيبرُ أنّي مرحبُ   شاكي السّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ

فقال عليّ:

أنا الذي سَمّتْني أمّي حَيدَرَهْ   أكيلكم بالسّيفِ كَيْلَ السّنْدَرَهْ

لَيثٌ بغاباتٍ شَديدٌ قَسْوَرَهْ

فاختلفا ضربتَيْن، فبدره عليّ فضربه فقدَّ الجَحَفة والمغفر ورأسه حتى وقع في الأرض؛ وأخذ المدينة.

قال أبو رافع مولى رسول الله، (ﷺ): خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله، (ﷺ)، برايته إلى خيبر، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه يهوديّ فطرح ترسه من يده فتناول عليّ بابًا كان عند الحصن فتترّس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثمّ ألقاه من يده؛ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه. وكان فتحها في صفر.

فلمّا فُتحت خيبر جاء بلال بصفيّة وأخرى معها على قتلى يهود، فلمّا رأتهم التي مع صفيّة صرخت وصكّت وجهها وحثَت التراب على رأسها، فاصطفى رسول الله، (ﷺ)، صفيّة وأبعد الأخرى وقال: إنّها شيطانة، لأجل فعلها. وقال لبلال: أنُزِعَتْ منك الرحمة؟ جئت بهما على قتلاهما!

وكانت صفيّة قد رأت في منامها وهي عروس لكنانة بن أبي الحُقَيْق أنّ قمرًا وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلّا أنّك تتمنّين محمّدًا. ولطم وجهها لطمة اخضرّت عينها منها، فأُتي بها رسول الله، (ﷺ)، وبها أثر منها، وسألها، فأخبرته، ودفع كنانةَ ابن أبي الحُقيق إلى محمّد بن مَسْلمة فقتله بأخيه محمود.

وحاصر رسول الله، (ﷺ)، حصنَيْ أهل خيبر الوطيح والسُّلالم، فلمّا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم، فأجابهم إلى ذلك، وكان قد حاز الأموال كلّها، الشّقَ ونَطاةَ والكَتيبة وجميع حصونهم.

فلمّا سمع بذلك أهلُ فَدَك بعثوا إلى رسول الله، (ﷺ)، يسألونه أن يسيّرهم ويخلّوا له الأموال. ففعل ذلك، ولما نزل أهلُ خيبر على ذلك

سألوا رسول الله، (ﷺ)، أن يعاملهم في الأموال على النصف وأن يُخْرجهم إذا شاء، فساقاهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا، وفعل مثل ذلك أهل فَدَك، وكانت خيبر فيئًا للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله، (ﷺ)، لأنّهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب. ولما استقرّ رسول الله، (ﷺ)، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سَلّام بن مِشْكم شاة مصليّة مسمومة فوضعتها بين يديه، فأخذ رسول الله، (ﷺ)، منها مضغة فلم يُسِغْها ومعه بِشْر بن البَراء ابن مَعْرور، فأكل بشر منها، وقال رسول الله، (ﷺ): إنّ هذه الشاة تُخْبرني أنّها مسمومة، ثمّ دعا المرأة فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغتَ من قومي ما لم يخفَ عليك فقلتُ: إن كان نبيًّا فسيُخبَر، وإن كان ملِكًا استرحنا منه. فتجاوز عنها. ومات بِشر من تلك الأكلة.

وقال رسول الله، (ﷺ)، في مرضه الذي مات فيه: هذا الأوان وجدتُ انقطاع أبهري من أكلة خيبر. فكان المسلمون يرون أنّه مات شهيدًا مع كرامة النبوّة.

* * *

غزوة وادي القُرى[1]

ولما فرغ رسول الله، (ﷺ)، من خيبر انصرف إلى وادي القُرى فحاصر أهله لياليَ فافتتحه عنوة، وفي حصاره قُتل مِدْغم مولى رسول الله، (ﷺ)، الذي أهداه له رِفاعة بن زيد الجُذامي، فقال المسلمون: هنيئًا له الجنّة. وقال رسول الله، (ﷺ): كلاّ، والذي نفس محمّد بيده إنّ شملته الآن لتشتعل عليه نارًا، وكان غلّها من فيء المسلمين يوم خيبر. فسمعه رجل فقال: يا رسول الله أصبتُ شِراكَين لنعلين لي كنتُ أخذتهما. فقال رسول الله، (ﷺ): يُقَدّ لك مثلهما من النّار.

وترك رسولُ الله، (ﷺ)، النخل والأرض في أيدي أهل الوادي وعاملهم نحو ما عامل أهل خيبر، فبقوا كذلك إلى أن ولي عمرُ الخلافة فأجلاهم، وقيل: إنّه لم يجلهم لأنّها خارجة عن الحجاز.

* * *

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/٢٢٢.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/٢٩٧.
- تاريخ الطبري ٢/١٣٨.

غزوة ذات السلاسل[1]

وفيها أرسل رسولُ الله، (ﷺ)، عمرَو بن العاص إلى أرض بَلِيّ وعُذْرة يدعو الناس إلى الإسلام، وكانت أمّه من بَليّ، فتألّفهم رسولُ الله، (ﷺ) بذلك، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلاسل، وبه سُميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلمّا كان به خاف فبعث إلى النبيّ، (ﷺ)، يستمدّه، فبعث إليه رسول الله، (ﷺ)، أبا عبيدة بن الجرّاح في المهاجرين الأوّلين، فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجّهه: لا تختلفا. فخرج أبو عبيدة، فلمّا قدم عليه قال عمرو: إنّما جئْتَ مددًا إليّ. فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إنّ رسول الله، (ﷺ)، قال: لا تختلفا، فإن عصيتَني أطعتُك. قال: فأنا أمير عليك. قال: فدونك. فصلّى عمرو بالنّاس.

وفيها أرسل رسولُ الله، (ﷺ)، عمرَو بن العاص إلى جَيْفر وعِياذَ ابنَيْ الجُلَخنْدى بعُمان، فآمنا وصدّقا. وأخذ الجزية من المجوس.

* * *

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٢.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٤٦.
- البداية والنهاية ٤/ ٢٧٢.

غزوة الخَبَط[1]

وفيها كانت غزوة الخَبَط، وأميرهم أبو عبيدة بن الجرّاح، في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وكانت في رجب، وزوّدهم رسول الله، (ﷺ)، جرابًا من تمر، فكان أبو عبيدة يقبض لهم قبضة ثمّ تمرة، فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء، فنفد ما في الجراب، فأكلوا الخبط وجاعوا جوعًا شديدًا، فنحر لهم قيس بن سعد بن عُبادة تسع جزائر فأكلوها، فنهاه أبو عبيدة، فانتهَى. ثمّ إنّ البحر ألقى إليهم حوتًا ميتًا فأكلوا منها حتى شبعوا، ونصب أبو عبيدة ضلعًا من أضلاعه، فيمرّ الراكب تحته. فلمّا قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبيّ، (ﷺ)، فقال: كلوا رزقًا أخرجه الله لكم، وأكل منه رسول الله، (ﷺ)، وذكروا صنيع قيس بن سعد، فقال: إنّ الجود من شيمة أهل ذلك البيت.

وفيها كانت سريّة وجّهها رسول الله، (ﷺ)، في شعبان أميرها أبو قتادة ومعه عبدالله بن أبي حَدْرد الأسلميّ؛ وكان سببها أنّ رِفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، في بطن عظيم من جُشَم نزل بالغابة يجمع لحرب النبيّ، (ﷺ)، فبعث النبيّ، (ﷺ)، أبا قتادة ومن معه ليأتوا منه بخبر، فوصلوا

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٢ - ٢٣٤.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٤٧.

قريبًا من الحاضر مع غروب الشمس، فكمن كلّ واحد منهم في ناحية، وكانوا ثلاثة، وقيل: كانوا ستة عشر رجلًا، قال عبدالله بن أبي حَدْرد: فكان لهم راعٍ أبطأ عليهم، فخرج رفاعة بن قيس في طلبه ومعه سلاحه، فرميته بسهم في فؤاده، فما تكلّم، قال: فأخذتُ رأسه ثمّ شددتُ في ناحية العسكر وكبّرت وكبّر صاحباي، فوالله ما كان إلّا النجاء، فأخذوا نساءهم وأبناءهم وما خفّ عليهم واستقنا الإبل الكثيرة والغنم فجئنا بها رسول الله وبرأسه معي، فأعطاني رسول الله، (ﷺ)، من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيرًا، وكنتُ قد تزوّجت وأخذتُ أهلي. وعدل البعير بعشر من الغنم.

وفيها أغزى رسولُ الله، (ﷺ)، أبا قَتادة أيضًا إلى إضَم ومعه مُحلِّم بن جَثّامة اللّيثيّ قبل الفتح، فلقيهم عامر بن الأضبط الأشجعيّ على بعير له ومعه متاعه، فسلّم عليهم بتحيّة الإسلام، فأمسكوا عنه، وحمل عليه محلِّم بن جثّامة لشيء كان بينهما فقتله وأخذ بعيره، فلمّا قدمنا على رسول الله، (ﷺ)، أخبره الخبر، فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا﴾[1]؛ الآية؛ وقيل: كانت هذه السريّة حين خرج إلى مكّة في رمضان.



(١) سورة النساء: آية ٩٤.

غزوة مُؤتة[1]

وكانت في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل رسول الله، (ﷺ)، عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رَواحة. فقال جعفر: ما كنتُ أذهب أن تستعمل عليّ زيدًا. فقال: امضِ فإنّك لا تدري أيّ ذلك خير. فبكى النّاسُ وقالوا: هلاّ متعتنا بهم يا رسول الله؟ فأمسك، وكان إذا قال: فإن أُصيب فلان فالأمير فلان، أُصيب كلّ من ذكره.

فتجهزّ النّاس، وهم ثلاثة آلاف، وودّعهم رسول الله، (ﷺ)، والنّاس. فلمّا ودّع عبدَالله بن رواحَة بكى عبدالله، فقال له النّاس: ما يُبْكيك؟ فقال: ما بي حبّ الدّنيا ولا صَبابة بكم، ولكن سمعتُ رسول الله، (ﷺ)، يقرأ آية، وهي: ﴿وإنْ مِنْكُمْ إلّا وَارِدُها كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتْمًا مقْضِيًّا﴾؛ فلستُ أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون:

(١) انظر:
الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٨.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/٣١٨.
- المغازي للواقدي ٢/ ٧٥٥.
- تاريخ الطبري ٢/١٤٩.
- السيرة النبوية ٤/ ١١.
- البداية والنهاية ٤/ ٢٤١.

صحبكم الله وردّكم إلينا سالمين. فقال عبدالله:

لكنّني أسألُ الرّحمنَ مَغفِرةً وضرْبةً ذات فَرْغ تقذفُ الزَّبَدَا
أوْ طعنَةً بيدَيْ حَرّان مُجهِزةً بحَرْبةٍ تَنْفُذ الأَحشاء والكَبِدَا
حتى يَقولوا إذا مَرّوا على جَدَثي أرشدك اللهُ من غازٍ وقد رَشَدَا

فلمّا ودّعهم رسول الله، (ﷺ)، وعاد قال عبدالله:

خَلَفَ السّلامُ على امرئٍ وَدّعتُهُ في النَّخْل خيرَ مُشَيِّع وخَليلِ

ثم ساروا حتى نزلوا مُعان، فبلغهم أنّ هِرَقْل سار إليهم في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة من لخم وجُذام وبلقَين وبَلِيّ، عليهم رجل من بَليّ يقال له مالك بن رافلة، ونزلوا مآب من أرض البلقاء، فأقام المسلمون بمُعان ليلتَين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله، (ﷺ)، نخبره الخبر وننتظر أمره، فشجّعهم عبدُ الله بن رواحة وقال: يا قوم والله إنّ الذي تكرهون لَلّذي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل النّاس بعدد ولا قوّة ولا نقاتلهم إلّا بهذا الدين، فانطلِقوا فما هي إلّا إحدى الحسنيَين. فقال النّاس: صدق والله، وساروا، وسمعه زيد بن أرقم، وكان يتيمًا في حجره، وقد أردفه في مسيره ذلك على حقيبته، وهو يقول:

إذا أدْنَيتِني وَحَمَلتِ رحلي مسيرَةَ أربعٍ بعد الحِساء
فشأنُكِ فانعمي وخلاكِ ذمٌّ وَلا أرْجِعْ إلى أهلي ورائي
وجاء المُسلمُونَ وغادَرُوني بأرْضِ الشّامِ مُشْتَهِيَ الثّواء
وردَّكِ كلُّ ذي نَسَبٍ قريبٍ منَ الرّحمَنِ مُنقطع الإخاء
هُنالكَ لا أُبالي طَلْعَ بَعْلٍ وَلا نَخْلٍ أسافلُها رِواء

فلمّا سمعها زيد بكى، فخفقه بالدِّرّة وقال: ما عليك يا لُكَعُ! يرزقني الله الشهادة وترجع بين شُعْبتِي الرحل؟ ثمّ ساروا، فالتقتهم جموع الروم

والعرب بقرية من البلقاء يقال لها مَشَارِف، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة، فالتقى النّاسُ عندها، وكان على ميمنة المسلمين قُطْبة بن قَتادة العُذريّ، وعلى ميسرتهم عَبايَة بن مالك الأنصاري، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله، (ﷺ)، حتى شاط في رماح القوم، ثمّ أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها وهو يقول:

يا حَبّذا الجَنّةُ واقترابُها طَيّبَةً وبارِدًا شَرابُها

والرّومُ رُومٌ قد دنا عذابُها، عليّ، إذ لاقَيتُها، ضرابُها

فلمّا اشتدّ القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثمّ قاتل القوم حتى قُتل، وكان جعفر أوّل مَن عَقر فرسه في الإسلام، فوجدوا به بضعًا وثمانين بين رمية وضربة وطعنة، فلمّا قُتل أخذ الراية عبدُ الله بن رَواحة ثمّ تقدّم، فتردّد بعض التردّد، ثمّ قال يخاطب نفسه:

أقسَمتُ يا نَفسُ لتَنزِلِنّهْ طائعَةً أوْ لا لَتُكرَهِنّهْ

إن أجلَبَ النّاسُ وشدّوا الرَّنّهْ ما لي أرَاكِ تَكرَهينَ الجَنَّهْ

قد طالَ ما قد كنتِ مُطمَئنّهْ هَل أنتِ إلّا نُطفَةٌ في شَنّهْ

وقال أيضًا:

يا نَفسُ إن لم تُقْتَلي تَموتي هذا حِمَامُ المَوْتِ قد صَليتِ

وَما تَمَنّيْتِ فقد أعْطيتِ إنْ تَفعَلي فعلَهما هُديتِ

ثمّ نزل عن فرسه، وأتاه ابن عمّ له بعِرق من لحم فقال له: شدّ بهذا صلبك، فقد لقيتَ ما لقيت. فأخذه فانتهش منه نهشةً ثمّ سمع الحَطْمة في ناحية العسكر فقال لنفسه: وأنت في الدنيا! ثمّ ألقاه وأخذ سيفه وتقدّم فقاتل حتى قُتل.

واشتدّ الأمرُ على المسلمين وكَلِبَ عليهم العدوّ، وقد كان قُطْبة بن

قَتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافلة قائد المستعربة. ثم إنّ الخبر جاء من السماء في ساعته إلى النبيّ، (ﷺ)، فصعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فقال: باب خير! (ثلاثًا) أُخبركم عن جيشكم هذا الغازي؛ إنّهم لقوا العدوّ فقُتل زيد شهيدًا، فاستغفر له، ثمّ أخذ اللّواءَ جعفرٌ فشدّ على القوم حتى قُتل شهيدًا، فاستغفر له، ثمّ أخذ اللّواءَ عبدُ الله بن رواحة، وصمت حتى تغيّرت وجوه الأنصار وظنّوا أنّه قد كان من عبدالله ما يكرهون، ثمّ قال رسول الله، (ﷺ): فقاتل القومَ حتى قُتل شهيدًا، ثمّ: لقد رُفعوا إلى الجنّة على سُرُر من ذهب، فرأيت في سرير ابن رواحة ازورارًا عن سريرَيْ صاحبَيْه، فقلتُ: عمّ هذا؟ فقيل: مضَيَا، وتردّد بعض التردّد ثمّ مضى. ولما قُتل ابنُ رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاريّ وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: رضينا بك. فقال: ما أنا بفاعل، فاصطلحوا على خالد بن الوليد، فأخذ الراية ودافع القوم وانحازوا عنه، فقال رسول الله، (ﷺ): ثمّ أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، فعاد بالنّاس، فمن يومئذٍ سُمّي خالد سيف الله.

وقال رسول الله، (ﷺ): مرّ بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مختضب القوادم بالدم.

قالت أسماء: أتاني النبيّ، (ﷺ)، وقد فرغتُ من اشتغالي وغسلتُ أولاد جعفر ودهنتهم فأخذهم وشمّهم ودمعتْ عيناه، فقلتُ: يا رسول الله أبَلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم، أُصيب هذا اليوم. ثمّ عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعامًا، فهو أوّل ما عُمل في دين الإسلام. قالت أسماء بنت عُمَيْس: فقمتُ أصنع، واجتمع إليّ النساء. فلمّا رجع الجيش ودنا من المدينة لقيهم رسول الله، (ﷺ)، والمسلمون، فأخذ عبدَ

الله بن جعفر فحمله بين يديْه، فجعل النّاس يحثُون التراب على الجيش ويقولون: يا فُرّار يا فُرّار! ويقول رسول الله، (ﷺ): ليسوا بالفُرّار ولكنّهم الكُرّار إن شاء الله تعالى.

* * *



فتح مكّة أو غزوة الفتح(1)

وأقام رسول الله، (ﷺ)، بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجبًا، ثمّ إنّ بني بكر بن عبد مناة عدت على خُزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكّة يقال له الوتير، وكانت خزاعة في عهد رسول الله، (ﷺ)، وبكر في عهد قريش في صلح الحُدَيْبية؛ وكان سبب ذلك أنّ رجلاً من بني الحضرميّ اسمه مالك بن عَبّاد وكان حليفًا للأسود بن رَزْن الدُّئليّ ثمّ البكري في الجاهليّة خرج تاجرًا، فلمّا كان بأرض خُزاعة قتلوه وأخذوا ماله، فعدتْ بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدتْ خزاعة على بني الأسود بن رَزْن، وهم سَلْمى وكُلْثوم وذؤيب، فقتلوهم بعَرَفَة، وكانوا من أشراف بني بكر، فبينما خزاعة وبكر على ذلك جاء الإسلامُ واشتغل النّاسُ به، فلمّا كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة في عهد النبيّ، (ﷺ)، ودخلت بكر في عهد قريش، اغتنمت بكر تلك الهدنة وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأرهم بقتل بني الأسود، فخرج نَوْفل بن معاوية الدُّئليّ بمن تبعه من بكر حتى بيَّتَ

(1) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٩ - ٢٥٤.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٣٢٤.
- المغازي للواقدي ٢/ ٧٨٠.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٥٢.
- السيرة النبوية ٤/ ٢٩ - ٧٠.
- البداية والنهاية ٤/ ٢٩١.

خزاعة على ماء الوتير.

وقيل: كان سبب ذلك أنّ رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء النبيّ، (ﷺ)، فشجّه، فهاج الشرّ بينهم وثارت بكر بخزاعة حتى بيّتوهم بالوتير، وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودوابّ وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين، منهم صفوان بن أميّة وعكرمة بن أبي جهل وسهل بن عمرو، فانحازت خزاعة إلى الحرم وقُتل منهم نفر. فلمّا دخلت خزاعة الحرم قالت بكر: يا نوفل إنّا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهَك! فقال: لا إلهَ له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنّكم لتسرفون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟

فلمّا نقضت بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبيّ، (ﷺ)، خرج عمرو بن سالم الخزاعيّ ثمّ الكعبيّ حتى قدم على رسول الله، (ﷺ)، المدينة فوقف عليه ثمّ قال:

لا هُمَّ إنّي ناشدٌ محمّدَا	حِلْفَ أبِينا وأبيهِ الأتْلَدَا
فوالدًا كُنّا وكنتَ وَلَدَا	ثُمّتَ أسلمنا فلم نَنزِعْ يدَا
فانصرْ رَسول اللهِ نصرًا أعتدا	وَادعُ عبادَ اللهِ يأتوا مَدَدَا
فيهم رَسولُ اللهِ قد تَجَرّدَا	أبيضَ مثل البدر يَنمي صُعُدَا
إن سيمَ خسفًا وَجهُه ترَبَّدَا	في فَيلقٍ كالبحرِ يجرِي مُزْبدَا
إنّ قرَيشًا أخلفوكَ المَوْعِدَا	ونَقضُوا ميثاقَكَ المؤكّدَا
وجَعلوا لي في كَداءٍ رَصَدَا	وزَعموا أن لستُ أدعو أحدَا
وهم أذَلُّ وأقلُّ عَدَدَا	هم بَيّتونا بالوَتيرِ هُجّدَا

فقتّلونا رُكّعًا وسُجّدَا

فقال رسول الله، (ﷺ): قد نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم! ثمّ عرض

لرسول الله، (ﷺ)، عَنانٌ من السماء فقال: إنّ هذه السحابة لتستهلّ بنصر بني كعب.

وكان بين عبد المطّلب وخزاعة حلف قديم، فلهذا قال عمرو بن سالم: حلف أبينا وأبيه الأتلدا.

ثمّ خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خُزاعة حتى قدموا على النبيّ، (ﷺ)، المدينةَ فنادوه، وهو يغتسل فقال: يا لبّيكم! وخرج إليهم، فأخبروه الخبر ثمّ انصرفوا راجعين إلى مكّة، وكان رسول الله، (ﷺ)، قد قال: كأنّكم بأبي سفيان قد جاء ليجدّد العهد خوفًا ويزيد في المدّة. ومضى بُديل فلقي أبا سفيان بعُسْفان يريد النبيّ، (ﷺ)، ليجدّد العهد خوفًا منه، فقال لبديل: من أين أقبلتَ؟ قال: من خزاعة في الساحل وبطن هذا الوادي. قال: أوَما أتيتَ محمّدًا؟ قال: لا. فقال أبو سفيان لأصحابه لمّا راح بُديل: انظروا بعر ناقته، فإن جاء المدينة لقد عَلَفَ النوى. فنظروا بعر الناقة فرأوا فيه النوى.

ثمّ خرج أبو سفيان حتى أتَى النبيَّ، (ﷺ)، فدخل على ابنته أمّ حَبيبة زوج النبيّ، فلمّا أراد أن يجلس على فراش رسول الله طوتْه عنه. فقال: أرغبت به عني أم رغبت بي عنه؟ فقالت: هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجسٌ فلم أحبّ أن تجلس عليه. فقال: لقد أصابك بعدي شرّ. ثمّ خرج حتى أتَى النبيَّ، (ﷺ)، فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئًا، ثمّ أتَى أبا بكر فكلّمه ليكلِّم له رسول الله، (ﷺ)، فقال: ما أنا بفاعل. ثمّ أتَى عمرَ فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله، (ﷺ)! والله لو لم أجد إلّا الذّرّ لجاهدتكم به. ثمّ خرج حتى أتَى عليًّا، وعنده فاطمة والحسن غلام، فكلّمه في ذلك، فقال له: والله لقد عزم رسول الله، (ﷺ)، على أمر لا نستطيع أن نكلّمه

فيه. فقال لفاطمة: يا بنت محمّد هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يُجير بين النّاس فيكون سيّدَ العرب؟ فقالت: ما بلغ ابني أن يُجير بين الناس، وما يجير على رسول الله أحد. فالتفت إلى عليّ فقال له: أرى الأمور قد اشتدّت عليّ فانصحني. قال: أنت سيّد كنانة فقمْ فأجرْ بين النّاس والحقْ بأرضك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيّها النّاس قد أجرتُ بين النّاس. ثمّ ركب بعيره وقدم مكّة وأخبر قريشًا ما جرى له وما أشار به عليّ عليه. فقالوا له: والله ما زاد على أن يسخر بك.

ثمّ إنّ رسول الله، (ﷺ)، تجهّز وأمر النّاس بالتجهّز إلى مكّة وقال: اللّهمّ خذِ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَهَا في بلادها. فكتب حاطب بن أبي بَلْتعة كتابًا إلى قريش يُعلمهم الخبر وسيّره مع امرأة من مُزَيْنة اسمها كنود، وقيل: مع سارة مولاة لبني المطّلب. فأرسل رسول الله، (ﷺ)، عليًا والزّبَير، فأدركاها وأخذا منها الكتاب وجاءا به إلى رسول الله، (ﷺ)، فأحضر حاطبًا وقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: والله إنّي لمؤمن بالله ورسوله ما بدّلتُ ولا غيّرتُ ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد وليس لي عشيرة فصانعتُهم عليهم. فقال عمر: دعني أضرب عنقه فإنّه قد نافق. فقال رسول الله، (ﷺ): وما يُدريك يا عمر؟ لعلّ الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وأنزل الله في حاطب: ﴿يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِيَاءَ﴾[1] إلى آخر الآية.

ثمّ مضى رسول الله، واستخلف على المدينة أبا رُهْم كُلْثوم بن حُصَين الغفاريّ، وخرج لعشر مضين من رمضان، وفتح مكّة لعشر بقين منه، فصام حتى بلغ ما بين عُسْفان وأمَج، فأفطروا، واستوعب معه

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١.

المهاجرون والأنصار، فسبّعتْ سُلَيْم وألّفتْ مُزَيْنة، وفي كلّ القبائل عدد وإسلام، وأدركه عُيَيْنَة بن حصْن الفزاري والأقرع بن حابس، ولقيه العبّاس بن عبد المطّلب بالسُّقيا، وقيل: بذي الحُلَيْفة، مهاجرًا، فأمره رسول الله، (ﷺ)، أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه، وقال له: أنت آخر المهاجرين، وأنا آخر الأنبياء.

ولقيه أيضًا مَخْرمة بن نوفل، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعبدالله بن أميّة بنيق العُقاب، فالتمسا الدخول على رسول الله، (ﷺ)، وكلّمته أمّ سلمة فيهما وقالت له: ابن عمّك وابن عمّتك. قال: لا حاجة لي بهما، أمّا ابن عمّي فهتك عرضي، وأمّا ابن عمّتي فهو الذي قال بمكّة ما قال. فلمّا سمعا ذلك وكان مع أبي سفيان ابن له اسمه جعفر، فقال: والله ليأذن لي أو لآخذنّ بيد ابني هذا ثمّ لنذهبنّ في الأرض حتى نموت عطشًا وجوعًا. فرقّ لهما رسول الله، (ﷺ)، فأدخلهما إليه فأسلما.

وقيل: إنّ عليًا قال لأبي سفيان بن الحارث: إيت رسول الله، (ﷺ)، من قبل وجهه فقلْ له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[1] فإنّه لا يرضى أن يكونَ أحد أحسن منه فعلًا ولا قولًا، ففعل ذلك. فقال له رسول الله، ﷺ: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2]، وقرّبهما، فأسلما، وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره ممّا مضى:

لعمرُكَ إنّي يومَ أحملُ رايَةً ... لتَغْلِبَ خَيلُ اللاّتِ خَيلَ محَمّدِ

لَكالمُدلجِ الحَيرانِ أظلَمَ لَيلُهُ ... فهذا أوَاني حينَ أُهدَى وأهْتَدِي

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٢.

وهادٍ هَداني غيرَ نفسي ونالَني   معَ اللهِ مَنْ طَرّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ

الأبيات. فضرب رسول الله، (ﷺ)، صدره وقال: أنت طرّدتني كلَّ مطرَّد. وقيل: إنّ أبا سفيان لم يرفع رأسه إلى النبيّ، (ﷺ)، حياء منه.

وقدم رسول الله، (ﷺ)، مَرَّ الظّهران في عشرة آلاف فارس، من بين غفار أربعمائة، ومن مُزَينة ألف وثلاثة نفر، ومن بني سُلَيْم سبعمائة، ومن جُهَيْنة ألف وأربعمائة، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف من العرب، ثمّ من تميم وأسد وقيس.

فلمّا نزل مرّ الظهران قال العبّاس بن عبد المطّلب: يا هلاك قريش! والله لئن بغتها رسول الله، (ﷺ)، في بلادها فدخل عنوة إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. فجلس على بغلة النبيّ، (ﷺ)، وقال: أخرج لعلّي أرى حطّابًا أو رجلًا يدخل مكّة فيُخبرهم بمكان رسول الله، (ﷺ)، فيأتون ويستأمنونه. قال: فخرجتُ أطوف في الأراك إذ سمعتُ صوت أبي سفيان وحَكيم بن حزام وبُدَيل بن ورقاء الخُزاعي قد خرجوا يتجسّسون. فقال أبو سفيان: ما رأيتُ نيرانًا أكثر من هذه. فقال بديل: هذه نيران خزاعة. فقال أبو سفيان: خزاعة أذلّ من ذلك. فقلتُ: يا أبا حنظلة، يعني أبا سفيان كان يكنى بذلك، فقال: أبو الفضل! قلت: نعم. قال: لبّيك فداك أبي وأمّي، ما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله، (ﷺ)، في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف. قال: ما تأمرني؟ قلتُ: تركب معي فأستأمن لك رسول الله، (ﷺ)، فوالله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك. فردفني، فخرجتُ أركضُ به نحو رسول الله، (ﷺ)، فكلّما مررتُ بنار من نيران المسلمين يقولون: عمّ رسول الله على بغلة رسول الله، حتى مررنا بنار عمر بن الخطّاب، فقال أبو سفيان: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد! ثمّ اشتدّ نحو النبيّ، (ﷺ)،

وركضتُ البغلة فسبقت عمَر، ودخل عمر على رسول الله، (ﷺ)، فأخبره وقال: دَعْني أضرب عنقه. فقلت: يا رسول الله إنّي قد أجرتُه. ثمّ أخذتُ برأس رسول الله، (ﷺ)، وقلتُ: لا يناجيه اليومَ أحد دوني. فلمّا أكثر فيه عمر قلتُ: مهلاً يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلّا لأنه من بني عبد مناف، ولو كان من بني عديّ ما قلتَ هذه المقالة. فقال: مهلاً يا عبّاس، فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم. فقال رسول الله، (ﷺ): اذهب فقد آمنّاه حتى تغدو عليّ به بالغداة. فرجعتُ به إلى منزلي وغدوتُ به على رسول الله، (ﷺ)، فلمّا رآه قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله؟ قال: بلى، بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّي شيئًا. فقال: ويحك ألم يأنِ لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ فقال: بأبي أنتِ وأمّي، أمّا هذه ففي النفس منها شيء. قال العبّاس: فقلتُ له: ويحك تشهّد شهادة الحقّ قبل أن تُضرب عنقك! قال: فتشهّد، وأسلم معه حَكيم بن حِزام وبُديل بن ورقاء. فقال رسول الله، (ﷺ)، للعبّاس: اذهبْ فاحبس أبا سفيان عند خَطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمرّ عليه جنود الله. فقلت: يا رسول الله إنّه يحبّ الفخر فاجعل له شيئًا يكون في قومه. فقال: مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.

قال: فخرجتُ به فحبستُهُ عند خطم الجبل، فمرّت عليه القبائل فيقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: أسْلم. فيقول: ما لي ولأسلم. ويقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: جُهَيْنَة. فيقول: ما لي ولجهينة. حتى مرّ رسول الله، (ﷺ)، في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرَى منهم إلّا الحَدَق. فقال: مَنْ هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله، (ﷺ)، في

المهاجرين والأنصار. فقال: لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيمًا. فقلت: ويحك إنّها النبوّة. فقال: نعم إذن. فقلتُ: الحقْ بقومك سريعًا فحذّرهم. فخرج حتى أتَى مكّة ومعه حكيم بن حِزام، فصرخ في المسجد: يا معشر قريش هذا محمّد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به. فقالوا: فمَهْ. قال: مَن دخل داري فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن؛ ثمّ قال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا.

فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. فقال: أرسلي لحيتي وأقسم لئن أنتِ لم تُسلمي لتُضربنّ عنقك، ادخلي بيتك! فتركتْهُ.

وبعث رسول الله، (ﷺ)، في أثرهما الزّبيَر وأمره أن يدخل ببعض النّاس من كَداء، وكان على المُجَنِّبة اليسرى وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل ببعض النّاس من كداء، فقال سعد حين وجّهه: اليوم يوم الملحمَهْ، اليوم تُستحلّ الحُرمَهْ. فسمعها رجل من المهاجرين فأعلم رسولَ الله، (ﷺ)، فقال لعليّ بن أبي طالب: أدركْه فخذِ الراية منه وكنْ أنت الذي تدخل بها، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكّة من اللّيط في بعض النّاس، وكان معه أسْلم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من العرب، وهو أوّل يوم أمّر رسول الله، (ﷺ)، خالد بن الوليد.

ولما وصل رسول الله، (ﷺ)، إلى ذي طَوًى وقف على راحلته وهو مُعتجِر ببرد خزّ أحمر وقد وضع رأسه تواضعًا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إنّ أسفل لحيته ليمسّ واسطة الرحل، ثمّ تقدّم ودخل من أذاخر بأعلاها وضُربت قبّته هناك.

وكان عِكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أميّة وسهيل بن عمرو قد

جمعوا ناسًا بالخَنْدمة ليقاتلوا ومعهم الأحابيش وبنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة، فلقيهم خالد بن الوليد فقاتلهم فقُتل من المسلمين جابر بن جُبَيْل الفِهْريّ وحُبَيْش بن خالد، وهو الأشعر الكعبيّ، وسَلَمة بن المَيْلاء، وقُتل من المشركين ثلاثة عشر رجلًا ثمّ انهزم المشركون.

وكان مع عكرمة حِماس بن خالد الدُّئليّ، وكان قد قال لامرأته: لآتينّك بخادم من أصحاب محمّد، فلمّا عاد إليها منهزمًا قالت له تستهزىء به: أين الخادم؟ فقال:

فأنت لوْ شهدتنا بالخَنْدمَهْ إذْ فَرّ صفوَانٌ وفرّ عِكْرِمَهْ
وأبو يَزيدَ كالعجوزِ المؤتمَهْ لم تنطقي في اللّوم أدنى كَلِمَهْ
إذْ ضرَبتنا بالسّيوفِ المثْلَمَهْ لهم زفيرٌ خلفَنا وغمغَمَهْ

أبو يزيد هذا هو سهيل بن عمرو.

وكان رسول الله، (ﷺ)، قد عهد إلى أمرائه أن لا يقتلوا أحدًا إلّا مَنْ قاتلهم. فلمّا انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكّة قام في وجوههم نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخمر وقد نشرن شعورهنّ، فرآهنّ رسول الله، (ﷺ)، وإلى جنبه أبو بكر، فتبسّم رسول الله، (ﷺ)، وقال: يا أبا بكر كيف قال حسّان؟ فأنشده:

تَظَلُّ جيادُنا مُتمطِّرَاتٍ تُلَطِّمُهُنّ بالخُمرِ النّساءُ

وكان رسول الله، (ﷺ) قد أمر بقتل ثمانية رجال وأربع نسوة، فأمّا الرجال فمنهم عكرمة بن أبي جهل، كان يشبه أباه في إيذاء رسول الله، (ﷺ)، وعداوته والإنفاق على محاربته، فلمّا فتح رسول الله، (ﷺ)، مكّة خافه على نفسه فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أمّ حَكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له وخرجت في طلبه ومعها غلام لها روميّ، فراودها عن

نفسها، فأطمعته ولم تمكّنه حتى أتت حيًّا من العرب فاستعانتهم عليه، فأوثقوه، وأدركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر فقالت: جئتُك من عند أوصل النّاس وأحلمهم وأكرمهم وقد آمنك، فرجع، وأخبرته خبر الروميّ، فقتله قبل أن يُسْلم. فلمّا قدم على رسول الله، (ﷺ)، سُرّ به، فأسلم وسأل رسولَ الله، (ﷺ)، أن يستغفر له، فاستغفر.

ومنهم صفوان بن أميّة بن خَلَف، وكان أيضًا شديدًا على النبيّ، (ﷺ)، فهرب خوفًا منه إلى جدّة، فقال عُمَير بن وهب الجُمَحيّ: يا رسول الله إنّ صفوان سيّد قومي وقد خرج هاربًا منك فآمِنْهُ. قال: هو آمنٌ، وأعطاه عمامته التي دخل بها مكّة ليُعرف بها أمانه، فخرج بها عُمَير فأدركه بجدّة فأعلمه بأمانه وقال: إنّه أحلم النّاس وأوصلهم، وإنّه ابن عمّك وعزّه عزّك وشرفه شرفك. قال: إنّي أخافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك. فرجع صفوان وقال لرسول الله، (ﷺ): إنّ هذا يزعم أنّك آمنتني. قال: صدَق. قال: اجعلني بالخيار شهرَين. قال: أنت فيه أربعة أشهر، فأقام معه كافرًا وشهد معه حُنَيْنًا والطائف ثمّ أسلم وحسُن إسلامُه وتوفّي بمكّة عند خروج النّاس إلى البصرة ليوم الجمل.

ومنهم عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح من بني عامر بن لُؤيّ، وكان قد أسلم وكتب الوحي إلى رسول الله، (ﷺ) فكان إذا أملى عليه: عزيز حكيم، يكتب: عليم حكيم، وأشباه ذلك، ثمّ ارتدّ وقال لقريش: إنّي أكتب أحرفَ محمّدٍ في قرآنه حيث شئتُ ودينكم خير من دينه؛ فلمّا كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفّان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيّبه عثمان حتى اطمأنّ النّاس، ثمّ أحضره عند رسول الله، (ﷺ)، وطلب له الأمان، فصمت رسول الله، (ﷺ)، طويلاً ثمّ آمنه، فأسلم وعاد، فلمّا انصرف قال

رسول الله، (ﷺ)، لأصحابه: لقد صمتُّ ليقتله أحدكم. فقال أحدهم: هلاّ أومأتَ إلينا؟ فقال: ما كان للنبيّ أن يقتل بالإشارة، إنّ الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين.

ومنهم عبدالله بن خَطَل، وكان قد أسلم، فأرسله رسول الله، (ﷺ)، مصدِّقًا ومعه رجل من الأنصار وغلامٌ له روميّ قد أسلم، فكان الروميّ يخدمه ويصنع الطعام، فنسي يومًا أن يصنع له طعامًا، فقتله وارتدّ، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله، (ﷺ)، فقتله سعيد بن حُرَيْث المخزوميّ، أخو عمرو بن حريث، وأبو بَرْزَةَ الأسلميّ.

ومنهم الحُوَيْرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصيّ، وكان يؤذي رسول الله، (ﷺ)، بمكّة وينشد الهجاء فيه، فلمّا كان يوم الفتح هرب من بيته، فلقيه عليّ بن أبي طالب فقتله.

ومنهم مِقْيس بن صُبابة، وإنّما أمر بقتله لأنّه قتل الأنصاريّ الذي قتل أخاه هشامًا خطأً وارتدّ، فلمّا انهزم أهل مكّة يوم الفتح اختفى بمكان هو وجماعة وشربوا الخمر، فعلم به نُمَيْلة بن عبد الله الكنانيّ، فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله.

ومنهم عبدَ الله بن الزِّبَعْرى السَّهْميّ، وكان يهجو رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، بمكّة ويعظّم القول فيه، فهرب يوم الفتح هو وهُبَيرة بن أبي وهب المخزوميّ زوج أمّ هانىء بنت أبي طالب إلى نجران، فأمّا هبيرة فأقام بها مشركًا حتى هلك، وأمّا ابنُ الزِّبَعْرَى فرجع إلى رسول الله، (ﷺ)، واعتذر، فقبل عذره، فقال حين أسلم:

يا رَسولَ المَليكِ إنّ لساني   راتقٌ ما فتقتُ إذْ أنا بُورُ
إذْ أُباري الشّيطان في سننِ الغَـ   ـيّ وَمَنْ مالَ ميلَه مَثبُورُ

آمَنَ اللّحمُ والعظامُ بربّي ثمّ نفسي الشهيد أنتَ النّذيرُ

في أشعار له كثيرة يعتذر فيها.

ومنهم وحشيّ بن حرب قاتل حمزة، فهرب يوم الفتح إلى الطائف، ثمّ قدم في وفد أهله على رسول الله، (ﷺ)، وهو يقول: أشهدُ أن لا إله إلّا الله، وأشهدُ أنّ محمّدًا رسول الله، فقال النبيّ، (ﷺ): أوحشيّ؟ قال: نعم. قال: أخبرْني كيف قتلتَ عمّي؟ فأخبره، فبكى وقال: غيّبْ وجهك عني. وهو أوّل مَنْ جُلد في الخمر، وأوّل من لبس المعصفر المصقول في الشام.

وهرب حُوَيْطب بن عبد العزّى، فرآه أبو ذرّ في حائط فأخبر النبيّ، (ﷺ)، بمكانه، فقال: أوَليس قد آمنّا النّاس إلّا مَنْ قد أمرنا بقتله؟ فأخبره بذلك، فجاء إلى النبيّ فأسلم. قيل: إنّه دخل يومًا على مروان بن الحكم وهو على المدينة فقال له مروان: يا شيخ تأخّر إسلامك. فقال: لقد هممتُ به غير مرّة فكان يصدّني عنه أبوك.

فأمّا النساء فمنهنّ هنْد بنت عُتْبة، وكان رسول الله، (ﷺ)، أمر بقتلها لما فعلت بحمزة ولما كانت تؤذي رسول الله، (ﷺ)، بمكّة، فجاءت إليه مع النساء متخفيّة فأسلمت وكسّرت كلّ صنم في بيتها وقالت: لقد كنّا منكم في غرور، وأهدت إلى رسول الله، (ﷺ)، جديين، واعتذرت من قلّة ولادة غنمها، فدعا لها بالبركة في غنمها فكثرت، فكانت تهب وتقول: هذا من بركة رسول الله، (ﷺ) فالحمد لله الذي هدانا للإسلام.

ومنهن سارة، وهي مولاة عمرو بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بَلْتعة في قول بعضهم، وكانت قدمت على رسول الله، (ﷺ)، مسلمة فوصلها فعادت إلى مكّة

مرتدّة، فأمر بقتلها، فقتلها عليّ بن أبي طالب.

ومنهنّ قينتا عبدالله بن خَطَل، وكانتا تغنّيان بهجاء رسول الله، (ﷺ)، فأمر بقتلهما، فقُتلت إحداهما واسمها قُرَيْبة، وفرّت الأخرى وتنكّرت وجاءت إلى رسول الله، (ﷺ)، فأسلمت وبقيت إلى خلافة عمر بن الخطّاب، فأوطأها رجل فرسه خطأً فماتت، وقيل: بقيت إلى خلافة عثمان، فكسر رجل ضلعًا من أضلاعها خطأً فماتت، فأغرمه عثمان ديتها.

ولما دخل رسول الله، (ﷺ)، مكّة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: لا إله إلّا اللهُ وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، أَلَا كلّ دم أو مأثرة أو مال يُدّعى فهو تحت قدميّ هاتين إلّا سدانة البيت وسقاية الحجّ. ثمّ قال: يا معشر قريش ما ترون أنّي فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخٍ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فعفا عنهم، وكان الله قد أمكنه منهم، وكانوا له فيئًا، فلذلك سمّى أهل مكّة الطلقاء. وطاف بالكعبة سبعًا، ودخلها وصلّى فيها، ورأى فيها صور الأنبياء، فأمر بها فمُحيت، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستّون صنمًا، وكان بيده قضيب، فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]؛ فلا يشير إلى صنم منها إلّا سقط لوجهه. وقيل بل أمر بها وخُذمت وكُسرت.

ثمّ جلس رسول الله، (ﷺ)، للبيعة على الصفا، وعمر بن الخطّاب تحته، واجتمع النّاس لبيعة رسول الله، (ﷺ)، على الإسلام، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال.

وأمّا بيعة النساء فإنّه لما فرغ من الرجال بايع النساء، فأتاه منهنّ نساء

(١) سورة الإسراء: الآية ٨١.

من نساء قريش، منهنّ أمّ هانىء بنت أبي طالب، وأمّ حبيب بنت العاص بن أميّة، وكانت عند عمرو بن عبد وَدّ العامريّ، وأرْوى بنت أبي العِيص عمّة عتّاب بن أَسِيد، وأختها عاتكة بنت أبي العيص، وكانت عند المطّلب بن أبي وداعة السّهْميّ، وأمّه بنت عفّان بن أبي العاص أخت عثمان، وكانت عند سعد حليف بني مخزوم، وهند بنت عُتْبة، وكانت عند أبي سفيان، ويسيرة بنت صفوان بن نَوْفل بن أسد بن عبد العُزّى، وأمّ حَكيم بنت الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد وكانت عند صفوان بن أميّة بن خَلَف، ورَيْطة بنت الحجّاج، وكانت عند عمرو بن العاص في غيرهنّ، وكانت هند متنكّرة لصنيعها بحمزة، فهي تخاف أن تؤخذ به، وقال لهنّ: تبايعنني على أن لا تُشْركن بالله شيئًا. قالت هند: إنّك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه. قال: ولا تسرقن. قالت: والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة. فقال أبو سفيان، وكان حاضرًا: أمّا ما مضى فأنتِ منه في حلّ. فقال رسول الله، (ﷺ): أهند؟ قالت: أنا هند فاعفُ عمّا سلف عفا الله عنك. قال: ولا تزنين. قالت: وهل تزني الحرّة؟ قال: ولا تقتلنَ أولادكنّ. قالت: ربّيناهم صغارًا وقتلتَهم يوم بدر كبارًا فأنت وهم أعلم. فضحك عمر. قال: ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكنّ وأرجلكنّ. قالت: والله إنّ إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل. قال: ولا تعصينني في معروف. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك. فقال رسول الله، (ﷺ)، لعمر: بايعهنّ. واستغفر لهنّ رسول الله، (ﷺ). وكان رسول الله، (ﷺ)، لا يمسّ النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسّه امرأة إلّا امرأة أحلّها الله له أو ذات محرم منه.

ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله، (ﷺ)، بلالًا أن يؤذّن على ظهر

الكعبة وقريش فوق الجبال، فمنهم مَنْ يطلب الأمان ومنهم من قد أمن، فلمّا أذّن وقال: أشهد أنّ محمّدًا رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة. وقيل: إنّها قالت: لقد رفع الله ذكر محمّد، وأمّا نحن فسنصلّي ولكنّا لا نحبّ مَنْ قتل الأحبّة. وقال خالد بن أسد، أخو عثمان بن أسد: لقد أكرم الله أبي فلم يرَ هذا اليوم. وقالَ الحارث بن هشام: ليتني متّ قبل هذا اليوم. وقال جماعة نحو هذا القول. ثمّ أسلموا وحسن إسلامهم ورضي الله عنهم.

* * *

غزوة هوازن بحُنَين أو غزوة حنين[1]

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله، (ﷺ)، وما فتح الله عليه مكة، جمعها مالك بن عوف النصْري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها، واجتمعت نصر وجُشَم كلّها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفي بني جُشَم دُرَيد بن الصِّمّة شيخ كبير، ليس فيه شيء إلّا التّيمّن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخًا مجرّبًا، وفي ثقيف سيّدان لهم، وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتّب، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيع بن الحارث ابن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصْري. فلما أجمع السير إلى رسول الله، (ﷺ)، حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس، وفيهم دُرَيد بن الصِّمّة في شِجار له يُقاد به، فلما نزل قال: بأيّ وادٍ أنتم؟ قالوا:

(١) انظر:

- الكامل في التاريخ ٣/ ٢٦١-٢٦٦.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٣٣١.
- المغازي للواقدي ٣/ ٨٨٥.
- السيرة النبوية ٤/ ١١٧.
- البداية والنهاية ٤/ ٣٢١.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٦٥.

بأَوْطاس قال: نعم مجال الخيل! لا حَزْنٌ ضَرِس، ولا سهلٌ دَهِس، ما لي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير. وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودُعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولِمَ ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كلّ رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، قال: فانقضّ به. ثم قال: راعي ضأن، والله! وهل يردّ المنهزم شيء؟ إنّها إنْ كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحدّ والجدّ، ولو كان يوم علاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجَذَعَان من عامر، لا ينفعان ولا يضرّان؛ يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئًا، ارفعهم إلى متمنّع بلادهم وعليا قومهم، ثم الق الصباء على متون الخَيل، فإن كانت لك لحِق بك مَن وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر عقلك. والله لتُطيعنّني يا معشر هوازن أو لأتّكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدُرَيد بن الصّمّة فيها ذِكْر أو رأي؛ فقالوا: أطعناك؛ فقال دُرَيْد بن الصّمّة: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني.

قال: وحدّثني أُميّة بن عبدالله بن عمرو بن عثمان أنه حُدّث: أنّ مالك ابن عوف بعث عيونًا من رجاله، فأتوه وقد تفرّقت أوصالهم، فقال:

ويلكم! ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالًا بِيضًا على خيل بُلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما ردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبيّ الله، (ﷺ)، بعث إليهم عبدالله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حَدْرد، فدخل فيهم، فأقام فيهم، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله، (ﷺ)، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله، (ﷺ)، فأخبره الخبر، فدعا رسول الله، (ﷺ)، عمر بن الخطّاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبي حَدْرد. فقال ابن أبي حَدْرد: إنْ كذبتني فربّما كذَّبتَ بالحقّ يا عمر، فقد كذّبت من هو خير منّي. فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حَدْرد؟ فقال رسول الله، (ﷺ): «قد كنت ضالًا فهداك الله يا عمر».

فلما أجمع رسول الله، (ﷺ)، السير إلى هوازن ليلقاهم، ذُكر له أنّ عند صفوان بن أُميّة أدراعًا له وسلاحًا، فأرسل إليه وهو يومئذ مُشْرك فقال: «يا أبا أُميّة، أعِرْنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غدًا»، فقال صفوان: أغصْبًا يا محمد؟ قال: بل عارية ومضمونة حتى نؤدّيها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح؛ فزعموا أنّ رسول الله، (ﷺ)، سأله أن يكفيهم حملها، ففعل.

قال: ثم خرج رسول الله، (ﷺ)، معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكّة، فكانوا اثني عشر ألفًا، واستعمل رسول الله، (ﷺ)، عتّاب بن أُسَيْد بن أبي العيص بن أُميّة

ابن عبد شمس على مكة، أميرًا على من تخلّف عنه من الناس، ثم مضى رسول الله، (ﷺ)، على وجهه يريد لقاء هوازن.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابن شهاب الزُّهْريّ، عن سِنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، أنّ الحارث بن مالك، قال: خرجنا مع رسول الله، (ﷺ)، إلى حُنَيْن ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حُنين، قال: وكانت كفّار قريش ومَن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلّقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يومًا، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله، (ﷺ)، سدرة خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله، (ﷺ): «الله أكبر، قلتم، والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعل لَنَا إلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ تَجْهلُونَ﴾[1]. إنها السُّنن، لتركُبنَّ سُنن مَن كان قبلكم».

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبدالله، قال: لما استقبلنا وادي حُنَين انحدرنا في وادٍ من أودية تِهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحدارًا، قال: وفي عماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيّئوا وأعدّوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلّا الكتائب قد شدّوا علينا شدّة رجلٍ واحد، وانشمر الناس راجعين، لا يلوي أحد على أحد.

وانحاز رسول الله، (ﷺ)، ذات اليمين، ثم قال: أين أيها الناس؟

(١) سورة هود: آية ٢٩ .

هلمّوا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله. قال: فلا شيء، حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلّا أنه قد بقي مع رسول الله، (ﷺ)، نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطّلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد. وأيمن بن عُبيد، قُتل يومئذ.

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سفيان بن الحارث بن جعفر، واسم أبي سفيان المغيرة، وبعض الناس يعدّ فيهم قثم بن العباس، ولا يعدّ ابن أبي سفيان.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبدالله، قال: ورجل من هوازن على جملٍ له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتّبعوه.

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله، (ﷺ)، من جُفاة أهل مكة الهزيمة، تكلّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضّغْن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإنّ الأزلام لَمَعَه في كِنانته. وصرخ جَبَلة بن الحنبل - قال ابن هشام: كلدة بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أُميّة مُشرك في المدّة التي جعل له رسول الله، (ﷺ): ألا بطُل السّحرُ اليوم! فقال له صفوان: اسكت فضّ الله فاك، فوالله لأن يربّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن.

قال ابن إسحاق: وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدّار: قلت: اليوم أدرك ثأري، وكان أبوه قُتل يوم أُحُد، اليوم أقتل محمدًا. قال: فأدرت برسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتّى تغشّى فؤادي، فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع منّي.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل مكّة، أنّ رسول الله، (ﷺ)، قال حين فصل من مكة إلى حُنَين، ورأى كثرة من معه من جنود الله: «لن نُغلب اليوم من قلّة».

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أنّ رجلًا من بني بكرٍ قالها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطّلب، قال: إنّي لَمَع رسول الله، (ﷺ)، آخذٌ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها، قال: وكنت امرءًا جسيمًا شديد الصوت، قال: ورسول الله، (ﷺ)، يقول حين رأى ما رأى من الناس: «أين أيها الناس؟» فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: «يا عباس اصرخ، يا معشر الأنصار: يا معشر أصحاب السَّمُرَة»، قال: فأجابوا: لبّيك، لبّيك! قال: فيذهب الرجل ليثني بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره، ويخلّي سبيله، فيؤمّ الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله، (ﷺ). حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدعوى أول ما كانت: يا للأنصار. ثم خلصت أخيرًا: يا للخزرج. وكانوا صُبرًا عند الحرب، فأشرف رسول الله، (ﷺ)، في ركائبه، فنظر إلى مجتَلَد القوم وهم يجتلدون، فقال: «الآن حمي الوطيس».

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن

بن جابر، عن أبيه جابر بن عبدالله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه عليّ بن أبي طالب من خلفه، فضرب عرقوبَيْ الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاريّ على الرجل، فضربه ضربة أطنَّ قدمه بنصف ساقه، فانجعف عن رَحْله، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتَّفين عند رسول الله، (ﷺ).

قال: والتفت رسول الله، (ﷺ)، إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وكان ممّن صبر يومئذ مع رسول الله، (ﷺ)، وكان حَسَن الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثَفَر بغلته، فقال: «من هذا»؟ قال: أنا ابن أمّك يا رسول الله.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله، (ﷺ)، التفت فرأى أمّ سُلَيم بنت مِلْحان وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسْطَها ببُرْد لها، وإنّها لحامل بعبدالله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خشيت أن يعزّها الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خِزامته مع الخطام، فقال لها رسول الله، (ﷺ): «أمّ سُلَيم»؟ قلت: نعم، بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله، (ﷺ): «أوَ يكفي الله يا أمّ سُليم»؟ قال: ومعها خِنْجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخِنْجر معك يا أمّ سُلَيم؟ قالت: خِنجر أخذته، إنْ دنا منّي أحد من المشركين بعجته به قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سُلَيم الرُّميصاء.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حُدّث عن أبي قتادة الأنصاريّ قال: وحدّثني من لا أتّهم من أصحابنا، عن نافع مولى بني غفَار أبي محمد، عن أبي قتادة، قالا: قال أبو قتادة: رأيت يوم حُنين رجُلين يقتتلان: مسلمًا ومشركًا، قال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم. قال: فأتيته، فضربت يده فقطعتها، واعتنقني بيده الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم - ويُروى: ريح الموت، فيما قال ابن هشام - وكاد يقتلني، فلولا أنّ الدم نزفه لقتلني، فسقط، فضربته فقتلته، وأجهضني عنه القتال، ومرّ به رجل من أهل مكّة فسلبه، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم، قال رسول الله، (ﷺ): «من قتل قتيلاً فله سَلَبُه»، فقلت: يا رسول الله، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب، فأجهضني عنه القتال، فما أدري من استلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله، وسلب ذلك القتيل عندي، فأرْضه عنّي من سَلَبه، فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: لا والله، لا يرضيه منه، تعمد إلى أسد من أسد الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سَلَبه؟! اردُدْ عليه سَلَب قتيله، فقال رسول الله، (ﷺ): «صَدَق فاردُدْ عليه سَلَبه». فقال أبو قتادة: فأخذته منه، فبِعْته، فاشتريت بثمنه مَخْرَفًا فإنّه لأوّل مال اعتقدته.

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أبي سَلَمة، عن إسحاق ابن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يوم حُنَين وحده عشرين رجلاً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، أنه حُدّث عن جُبير بن مُطْعِم، قال: لقد رأيت - قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون - مثل البِجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود

مبثوث، قد ملأ الوادي لم أشكّ أنها الملائكة، ثم لم يكن إلّا هزيمة القوم.

قال ابن إسحاق: ولما هزم الله المشركين من أهل حُنَين، وأمكن رسولَه ﷺ منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللّاتِ ... والله أحقُّ بالثباتِ

قال ابن إسحاق: أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر:

غلبت خيلُ الله خيلَ اللّاتِ ... وخيلُه أحقُّ بالثباتِ

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن استحرّ القتل من ثقيف في بني مالك، فقُتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبدالله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، وكانت رايتهم مع ذي الخمار، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبدالله، فقاتل بها حتى قُتل.

قال ابن إسحاق: وأخبرني عامر بن وهْب بن الأسود، قال: لما بلغ رسول الله، (ﷺ)، قتْله، قال: أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشًا.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس: أنه قُتل مع عثمان بن عبدالله غلام له نصرانيّ أغرل، قال: فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد يسلبه، فوجده أغرل. قال: فصاح بأعلى صوته: يا معشر العرب: يعلم الله أن ثقيفا غرل. قال المغيرة بن شعبة: فأخذت بيده، وخشيت أن تذهب عنّا في العرب، فقلت: لا تقل ذاك، فداك أبي وأمّي، وإنّما هو غلام لنا نصرانيّ. قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى، وأقول له: ألا تراهم مُختَّنين كما ترى.

قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمّه وقومه من

الأحلاف، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين: رجل من غيرة، يقال له وهْب، وآخر من بني كبّة، يقال له الجُلاح: فقال رسول الله، (ﷺ) حين بلغه قتل الجُلاح: «قتل اليوم سيّد شباب ثقيف، إلّا ما كان من ابن هُنَيْدة»، يعني بابن هُنَيْدة الحارث بن أويس.

قال ابن هشام: غيلان: غيلان بن سَلَمَة الثقفي، وعُروة: عُروة بن مسعود الثقفي.

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون، أتوا الطائفَ ومعهم مالك ابن عوف، وعسكر بعضهم بأوْطاس، وتوجّه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلّا بنو غِيَرَة من ثقيف، وتبعَت خيلُ رسول الله، (ﷺ)، من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

فأدرك ربيعة بن رُفَيع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يَرْبوع بن سَمّال ابن عوف بن امرىء القيس، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة وهي أمّه، فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لذعة فيما قال ابن هشام - دُرَيْد بن الصّمّة، فأخذ بخِطام جَمله وهو يظنّ أنه امرأة، وذلك أنه في شِجار له، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، وإذا هو دُرَيد بن الصّمّة ولا يعرفه الغلام، فقال له دُرَيد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السّلميّ، ثم ضربه بسيفه، فلم يُغْن شيئًا، فقال: بئس ما سلّحتك أمّك: خذ سيفي هذا من مؤخَّر الرَّحْل، وكان الرَّحْل في الشِجار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإنّي كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمّك فأخبِرْها أنّك قتلت دُرَيد بن الصّمّة فربَّ والله يومٌ قد منعتُ فيه نساءك. فزعم بنو سُلَيم أنّ ربيعة لما ضربه فوقع تكشّف، فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس، من ركوب الخيل أعراء؛ فلما رجع ربيعة إلى

أمّه أخبرها بقتْله إيّاه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمّهاتٍ لك ثلاثًا.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله، (ﷺ)، في آثار من توجّه قِبَل أوْطاس أبا عامر الأشعريّ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم، فناوشوه القتال فرُمي أبو عامر بسهم فقُتل؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعريّ، وهو ابن عمّه فقاتلهم، ففتح الله على يديه وهزمهم. فيزعمون أنّ سَلَمة بن دُرَيد هو الذي رمى أبا عامر الأشعريّ بسهم: فأصاب رُكبته، فقتله، فقال:

إنْ تسألوا عنّي فإنّي سَلَمهْ ابنُ سَمَادِيرَ لمنْ توسَّمهْ
أضربُ بالسيف رؤوس المُسْلِمهْ

وسمادير: أمّه.

واستحرّ القتْل من بني نصر في بني رئاب، فزعموا أنّ عبدالله بن قيس - وهو الذي يقال له ابن العَوْراء، وهو أحد بني وهْب بن رئاب - قال: يا رسول الله هلكت بنو رئاب. فزعموا أنّ رسول الله، (ﷺ)، قال: «اللهم اجبُرْ مصيبتهم».

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه، على ثنيّة من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم، وتلحق أُخراكم، فوقف هناك حتى مضى من كان لحِق بهم من منهزمة الناس.

قال ابن هشام: وبلغني أنّ خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنيّة، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى قومًا واضعي رماحَهم بين آذان خيلهم، طويلة بوادهم، فقال: هؤلاء بنو سُليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي. ثم طلعت خيل أخرى تتبعها؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قومًا عارضي رماحهم، أغفالًا على خيلهم فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم. فلما انتهوا

إلى الثنيّة سلكوا طريق بني سُلَيم. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارسًا طويل الباد، واضعًا رُمْحه على عاتقه، عاصبًا رأسه بمُلاءة حمراء فقال: هذا الزُّبَير بن العوّام وأحلِف باللّات لَيخالطنّكم، فاثبتوا له. فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثنيّة أبصر القوم، فصمد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها.

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أنّ أبا عامر الأشعريّ لقي يوم أوْطاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فقتله أبو عامر، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامرُ ثم جعلوا يحملون عليه رجلًا رجلًا، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقي العاشر؛ فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهمّ اشهدْ عليه؛ فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليَّ، فكفّ عنه أبو عامر، فأفلت؛ ثم أسلم بعد فحسُن إسلامه. فكان رسول الله، (ﷺ)، إذا رآه قال: «هذا شريد أبي عامر». ورمى أبا عامر أخَوَان: العلاء وأوفى ابنا الحارث، من بني جُشَم بن معاوية، فأصاب أحدُهما قلبه، والآخر رُكبته، فقتلاه. وولي الناس أبو موسى الأشعريّ فحمل عليهما فقتلهما.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا: أنّ رسول الله، (ﷺ)، مرَّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصّفون عليها فقال: «ما هذا»؟ فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد: فقال رسول الله (ﷺ) لبعض من معه: «أدرِكْ خالدًا، فقل له: إنّ رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عَسِيفًا».

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض بني سعد بن بكر أنّ رسول الله، (ﷺ) قال يومئذٍ: إنْ قِدرتم على بجاد، رجل من بني سعد بن بكر، فلا يُفْلِتَنَّكُم، وكان قد أحدث حَدثًا، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشَّيْماء، بنت الحارث بن عبد العُزَّى أخت رسول الله، (ﷺ) من الرضاعة، فعنّفُوا عليها في السّياق: فقالت للمسلمين: تعلموا والله أنّي لأُخْتُ صاحبكم من الرضاعة؛ فلم يصدّقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله، (ﷺ).

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن عُبيد السَّعديّ، قال: فلما انتُهي بها إلى رسول الله، (ﷺ)، قالت: يا رسول الله، إنّي أختك من الرضاعة، قال: «وما علامة ذلك»؟ قالت: عضّة عضَضْتَنِيها في ظهري وأنا متورّكتُكِ. قال: فعرف رسول الله، (ﷺ)، العلامة، فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وخيَّرها، وقال: إن أحببتِ فعندي محبَّبة مُكْرَمَة، وإنْ أحببتِ أن أمتّعْك وترجعي إلى قومك فعلتُ، فقالت: بل تمتّعني وتردّني إلى قومي، فمتّعها رسول الله، (ﷺ)، وردّها إلى قومها: فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلامًا له يقال له مكحول، وجارية، فزوّجت أحدهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيّة.

قال ابن هشام: وأنزل الله عزّ وجلّ في يوم حُنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾[1].

قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استُشهد يوم حُنَيْن من المسلمين:

---

(١) سورة التوبة: آية ٢٥ .

من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عُبيد.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطّلب ابن أسد، جمح به فرس يقال له الجناح، فقُتل.

ومن الأنصار: سُراقة بن الحارث بن عدِيّ، من بني العَجْلان.

* * *

الفصل الثاني والثلاثون:

حصار الطائف أو غزوة الطائف[1]

لما قدم المنهزمون من ثقيف ومَنِ انضمّ إليهم من غيرهم إلى الطائف أغلقوا عليهم مدينتهم واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون إليه. فسار إليهم النبيّ، (ﷺ)، فلمّا كان ببُحْرَة الرُّغاء قبل وصوله إلى الطائف قتل بها رجلاً من بني ليث قصاصًا، كان قد قتل رجلاً من هُذَيل فأمر بقتله، وهو أوّل دم أُقيد به في الإسلام، وسار إلى ثقيف فحصرهم بالطائف نيفًا وعشرين يومًا ونصب عليهم منجنيقًا أشار به سلمان الفارسيّ، وقاتلهم قتالًا شديدًا، حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من المسلمين تحت دبّابة عملوها ثمّ زحفوا بها إلى جدار الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المُحْماة، فخرجوا من تحتها، فرماهم مَنْ بالطائف بالنبل فقتلوا رجالًا. فأمر رسول الله، (ﷺ)، بقطع أعناب ثقيف، فقُطعتْ. ونزل إلى رسول الله نفر من رقيق أهل الطائف فأعتقهم، منهم أبو بكرة بقيع بن الحارث بن كَلَدة، وإنّما قيل له أبو بكرة ببكرة نزل فيها، وغيره. فلمّا أسلم

---

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٣/ ٢٦٦-٢٧٣.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٣٤١.
- المغازي للواقدي ٣/ ٩٢٢.
- تاريخ الطبري ٢/ ١٧١.
- السيرة النبوية ٤/ ١١٧.

أهل الطائف تكلّمت سادات أولئك العبيد في أن يردّهم رسول الله، (ﷺ)، إلى الرقّ فقال: لا أفعل، أولئك عتقاء الله.

ثمّ إنّ خُوَيْلة بنت حَكيم السُّلَميّة، وهي امرأة عثمان بن مَظْعون، قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُليّ بادية بنت غَيلان أو حليّ الفارعة بنت عَقيل، وكانتا من أكثر النساء حليًا. فقال لها رسول الله، (ﷺ): أرأيت إن كان لم يؤذنْ لي في ثقيف يا خويلة؟ فخرجت فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب. فدخل عليه عمر وقال: يا رسول الله ما حديث حدثّتْنيه خويلة أنّك قد قلتَهُ؟ قال: قد قلتُهُ. قال: أفلا أؤذّن بالرحيل يا رسول الله؟ قال: بلى، فأذّن بالرّحيل.

وقيل: إنّ رسول الله، (ﷺ)، استشار نوفل بن معاوية الدُّئليّ في المقام عليهم. فقال: يا رسول الله ثعلبٌ في جُحر إن أقمتَ عليه أخذتَه وإن تركته لم يضرّك، فأذّن بالرّحيل. فلمّا رجع النّاس قال رجل: يا رسول الله ادعُ على ثقيف. قال: اللهمّ اهدِ ثقيفًا وأتِ بهم. فلمّا رأت ثقيفُ النّاس قد رحلوا عنهم نادى سعيد بن عُبَيْد الثقفيّ: ألا إنّ الحيّ مقيم. فقال عُيَيْنَة بن حصْن: أجلْ والله مَجَدَةً كرامًا. فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة أتمدحهم بالامتناع من رسول الله، (ﷺ)؟ قال: إنّي والله ما جئتُ لأقاتل معكم ثقيفًا، ولكني أردتُ أن أُصيب من ثقيف جارية لعلّها تلد لي رجلًا، فإنّ ثقيفًا قوم مناكير.

واستشهد بالطائف اثنا عشر رجلًا، منهم عبدالله بن أبي أميّة المخزوميّ، وأمّه عاتكة بنت عبد المطّلب، وعبدالله بن أبي بكر الصدّيق، رُمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله، (ﷺ)، والسائب بن الحارث بن عديّ، وغيرهم.

وهذه بادية بنت غَيلان قال فيها هيت المخنَّث لعبدالله بن أبي أميّة: إن فتح الله عليكم الطائف فسَلْ رسول الله أن ينفّلك بادية بنت غيلان فإنّها هَيْفاء شَموعٌ نجلاء، إن تكلّمتْ تغنّتْ، وإن قامت تثنّتْ، وإن مشت ارتجّت، وإن قعدت تبنّت، تُقبل بأربع وتُدبر بثمان، بثغر كالأقحوان، بين رجليها كالقعب المكفأ. فقال النبيّ، (ﷺ): لقد علمتَ الصفة، ومنعه من الدخول إلى نسائه.

ذكر قسمة غنائم حُنَين

لما رحل رسول الله، (ﷺ)، من الطائف سار حتى نزل الجِعْرانة، وأتته وفود هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنّا أصلٌ وعشيرة، وقد أصابنا ما لم يخفَ عليك، فامننْ علينا منّ الله عليك. وقام زهير بن صُرَد من بني سعد بن بكر، وهم الذين أرضعوا رسول الله، (ﷺ)، فقال: يا رسول الله إنّما في الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك، ولو أنّا أرضعنا الحارث بن أبي شِمْر الغسّاني أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه، وأنت خير المكفولين! ثمّ قال:

امننْ علينا رسولَ اللهِ في كَرَمٍ ... فإنّكَ المَرْء نَرْجوهُ ونَدّخرُ
امننْ على نسوَةٍ قد عاقَها قَدَرٌ ... ممَزّقٌ شملُها في دهرِها غِيَرُ

في أبيات. فخيّرهم رسول الله، (ﷺ)، بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم، فاختاروا أبناءهم ونساءهم، فقال: أمّا ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم، فإذا أنا صلّيتُ بالنّاس فقولوا: إنّا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم وأسألُ فيكم. فلمّا صلّى الظهر فعلوا ما أمرهم به، فقال رسول الله، (ﷺ): ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم. وقال المهاجرون

والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله. وقال الأقرع بن حابس: ما كان لي ولبني تميم فلا. وقال عُيَيْنة بن حِصْن: ما كان لي ولفزارة فلا. وقال عبّاس ابن مِرْداس: ما كان لي ولسُلَيْم فلا. فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله. فقال: وهّنتموني. فقال رسول الله، (ﷺ): مَنْ تمسّك بحقّه من السبي فله بكلّ إنسان ستّ فرائض من أوّل شيء نُصيبه، فردّوا على النّاس أبناءهم ونساءهم.

وسأل رسول الله، (ﷺ)، عن مالك بن عَوف، فقيل: إنّه بالطائف. فقال: أخبروه إن أتاني مسلمًا رددتُ عليه أهله وماله وأعطيته مائة بعير. فأُخبر مالك بذلك، فخرج من الطائف سرًّا ولحق برسول الله، (ﷺ)، فأسلم وحسنُ إسلامه، واستعمله رسول الله، (ﷺ)، على قومه وعلى مَنْ أسلم من تلك القبائل التي حول الطائف، فأعطاه أهله وماله ومائة بعير. وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثُمالة وفهم وسلَمَة ثقيفًا، لا يخرج لهم سرح إلّا أغار عليه، حتى ضيّق عليهم.

ولما فرغ رسول الله، (ﷺ)، من ردّ سبايا هوازن ركب واتبعه النّاس يقولون: يا رسول الله اقسمْ علينا فيئَنا، حتى ألقوه إلى شجرة، فاختُطِف رداؤه. فقال: ردّوا عليّ ردائي أيّها النّاس، فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نَعَمٌ لقسمتُها عليكم ثم لا تجدوني بخيلًا ولا جبانًا ولا كذّابًا. ثمّ رفع وبرة من سنام بعير وقال: ليس لي من فَيْئكم ولا هذه الوبرة إلّا الخُمس وهو مردود عليكم. ثمّ أعطى المؤلّفة قلوبهم، وكانوا من أشراف النّاس، يتألّفهم على الإسلام، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحَكيم بن حِزام، والعلاء بن جارية الثقفيّ، والحارث بن هشام، وصفوان بن أميّة، وسُهَيْل ابن عمرو، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى، وعُيَيْنة بن حِصْن، والأقرع بن

حابس، ومالك بن عوف النصريّ، كلّ واحد منهم مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالًا، منهم: مَخْرمة بن نَوفل الزُّهريّ، وعمير بن وَهْب، وهشام ابن عمرو، وسعيد بن يربوع، وأعطى العبّاس بن مِرْداس أباعر، فسَخطَها وقال:

كانَتْ نِهابًا تَلافَيْتُها بكَرّي على المُهْرِ في الأجرَعِ
وإيقاظيَ القَوْمَ أن يَرْقدوا إذا هجعَ النّاسُ لم أهجعِ
فأصبَحَ نَهبي ونَهبُ العُبيدِ بَينَ عُيَيْنَةَ وَالأقرعِ
وَقد كنتُ في الحرْبِ ذا تُدرَإٍ فلَم أُعطَ شَيئًا وَلم أُمْنَعِ
إلّا أفائِلَ أُعطِيتُها عَديدَ قَوائِمِها الأرْبَعِ
وَما كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ يَفوقانِ مِرْداسَ في المجمَعِ
وما كنتُ دونَ امرئٍ مِنهُما ومن تَضَعِ اليَوْمَ لا يُرْفَعِ

فأعطاه حتى رضي.

وقال رجل من الصحابة: يا رسول الله أعطيتَ عيينَةَ والأقرع وتركتَ جُعَيْل بن سُراقة. فقال رسول الله، (ﷺ): والذي نفسي بيده لجُعَيْل خيرٌ من طِلاع الأرض رجالًا كلّهم مثل عيينة والأقرع ولكنّي تألّفتُهما ووكلتُ جُعيلًا إلى إسلامه.

وقيل: إنّ ذا الخُوَيْصرة التميميّ في هذه القسمة قال لرسول الله، (ﷺ): إنّك لم تعدل اليومَ. فقال رسول الله، (ﷺ): ومَنْ يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر بن الخطّاب: ألا نقتله؟ فقال: دعوه، ستكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة. وقيل: إنّ هذا القول إنّما كان في مالٍ بعث به عليّ من اليمن إلى رسول الله، (ﷺ)، فقسمه بين جماعة، منهم: عُيَيْنة والأقرع وزيد الخيل.

قال أبو سعيد الخُدْريّ: لما أعطى رسول الله، (ﷺ)، ما أعطى من تلك الغنائم في قريش وقبائل العرب ولم يُعْطِ الأنصارَ شيئًا وجدوا في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي رسول الله، (ﷺ)، قومَهُ. فأخبر سعد بن عُبادة رسولَ الله، (ﷺ)، بذلك، فقال له: فأين أنت يا سعد؟ قال: أنا من قومي. قال: فاجمعْ قومك لي، فجمعهم. فأتاهم رسول الله، (ﷺ)، فقال: ما حديث بلغني عنكم؟ ألم آتِكم ضُلاّلًا فهداكم الله بي؟ وفقراء فأغناكم الله بي؟ وأعداء فألّف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى والله يا رسول الله، ولله ورسوله المنّ والفضل. فقال: ألا تجيبوني؟ قالوا: بماذا نجيبك؟ فقال: والله لو شئتم لقلتم فصدقتم: أتيتَنا مكذَّبًا فصدّقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلاً فواسيناك، أوَجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا تألّفتُ بها قومًا ليُسْلموا ووكلتُكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون أن يذهب النّاس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار، ولو سلك النّاس شِعبًا وسلكتِ الأنصار شِعبًا لسلكتُ شِعبَ الأنصار، اللهمّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لِحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قِسْمًا وحَظًّا. وتفرّقوا.

ثمّ اعتمر رسول الله، (ﷺ)، من الجِعْرانة وعاد إلى المدينة، واستخلف على مكّة عَتّاب بن أَسيد، وترك معه مُعاذَ بن جبل يفقّه النّاس، وحجّ عتّاب بن أسيد بالنّاس، وحجّ النّاس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ، وعاد رسول الله، (ﷺ)، إلى المدينة في ذي القعدة أو ذي الحجّة.

وفيها بعث رسول الله، (ﷺ)، عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعِياذ ابنَيِ الجُلُنْدَى من الأزد بعُمان مصدّقًا، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على

فقرائهم، وأخذ الجزية من المجوس، وهم كانوا أهل البلد، وكان العرب حولها، وقيل سنة سبع.

وفيها تزوّج رسول الله، (ﷺ)، الكلابيّة، واسمها فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان، فاختارت الدنيا، وقيل: إنّها استعاذت منه ففارقها. وفيها ولدت مارية إبراهيم ابن النبيّ، (ﷺ)، في ذي الحجّة، فدفعه إلى أمّ بُردة بنت المنذر الأنصاريّة فكانت تُرضعه، وزوْجها البراء بن أوس الأنصاريّ. وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله، (ﷺ)، فأرسلت أبا رافع إلى النبيّ، (ﷺ)، يبشّره بإبراهيم، فوهب له مملوكًا، وغار نساءُ النبيّ، (ﷺ)، وعظم عليهنّ حين رُزقت مارية منه ولدًا.

وفيها بعث رسول الله، (ﷺ)، كعب بن عُمَير إلى ذات إطلاح من الشام إلى نفر من قُضاعة يدعوهم إلى الإسلام ومعه خمسة عشر رجلًا، فوصل إليهم فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُجيبوه، وكان رئيس قضاعة رجلًا يقال له سدوس، فقتلوا المسلمين ونجا عمير فتقدّم إلى المدينة. وفيها بعث أيضًا عُيَيْنَة بن حصْن الفزاري إلى بني العنبر من تميم، فأغار عليهم وسبى منهم نساء، وكان على عائشة عتق رقبة من بني إسماعيل، فقال لها رسول الله، (ﷺ): هذا سبي بني العنبر يقدم علينا فنُعطيك إنسانًا فتعتقينه.

* * *

الفصل الثالث والثلاثون:

غزوة تَبُوك[1]

لما عاد رسول الله، (ﷺ)، أقام بالمدينة بعد عوده من الطائف ما بين ذي الحجّة إلى رجب، ثمّ أمر النّاس بالتجهّز لغزو الروم وأعلم النّاس مقصدهم لبُعْد الطريق وشدّة الحرّ وقوّة العدوّ، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورّى بغيرها.

وكان سببها أنّ النبيّ، (ﷺ)، بلغه أنّ هرقْل ملك الروم ومَنْ عنده من متنصّرة العرب قد عزموا على قصده، فتجهّز هو والمسلمون وساروا إلى الروم. وكان الحرّ شديدًا، والبلاد مجدبة، والنّاس في عُسْرة، وكانت الثمار قد طابت، فأحبّ النّاس المقام في ثمارهم فتجهّزوا على كره، فكان ذلك الجيش يسمّى جيش العُسْرة. فقال رسول الله، (ﷺ)، للجدّ بن قيس، وكان من رؤساء المنافقين: هل لك في جلاد بني الأصفر؟ فقال: والله لقد عرف قومي حبّي للنساء، وأخشى أن لا أصبر على نساء بني الأصفر، فإن رأيتَ أن تأذن لي ولا تفتنّي. فقال رسول الله، (ﷺ): قد أذنتُ لك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٣/ ٢٧٦-٢٨٢.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٣٦٢.
- المغازي للواقدي ٣/ ٩٨٩.
- السيرة النبوية ٤/ ١٥٥.

وَلا تَفْتِنِّي﴾[1]، وقال قائل من المنافقين: لا تنفروا في الحرّ، فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا في الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾[2].

ثمّ إنّ النبيّ، (ﷺ)، تجهّز وأمر بالنفقة في سبيل الله، وأنفق أهل الغنى، وأنفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها، قيل: كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار.

ثمّ إنّ رجالًا من المسلمين أتوا النبيّ، (ﷺ)، وهم البكّاؤون، وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، وكانوا أهل حاجة، فاستحملوه. فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولّوا يبكون، فلقيهم يامين بن عُمَير بن كعب النضريّ فسألهم عمّا يبكيهم فأعلموه، فأعطى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبدالله بن مُغَفّل المُزَنيّ بعيرًا، فكانا يعتقبانه مع رسول الله، (ﷺ).

وجاء المعذّرون من الأعراب فاعتذروا إلى رسول الله، (ﷺ)، فلم يعذرهم الله، وكان عدّة من المسلمين تخلّفوا من غير شكّ، منهم: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أميّة، وأبو خَيْثمة.

فلمّا سار رسولُ الله، (ﷺ)، تخلّف عنه عبدالله بن أُبيّ المنافق فيمَنْ تبعه من أهل النفاق، واستخلف رسول الله، (ﷺ)، على المدينة سِباع بن عُرْفُطة، وعلى أهله عليّ بن أبي طالب، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلّفه إلّا استثقالًا له. فلمّا سمع عليّ ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله، (ﷺ)، فأخبره ما قال المنافقون، فقال: كذبوا وإنّما خلّفتُك لما ورائي، فارجعْ فاخلفْني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي. فرجع. فسار رسول الله، (ﷺ).

---

(١) سورة التوبة: آية ٤٩.

(٢) سورة التوبة: آية ٨١.

ثمّ إنّ أبا خَيْثمة أقام أيّامًا، فجاء يومًا إلى أهله، وكانت له امرأتان، وقد رشّتْ كلّ امرأة منهما عريشها وبرّدت له ماء وصنعت طعامًا، فلمّا رآه قال: يكون رسول الله، (ﷺ)، في الحرّ والريح وأبو خَيْثمة في الظلّ البارد والماء البارد مقيم! ما هذا بالنّصَفِ، والله ما أحلُّ عريشًا منهما حتى ألحق برسول الله، (ﷺ). فهيّأ زاده وخرج إلى ناضحه فركبه، وطلب رسولَ الله، (ﷺ)، فأدركه بتبوك، فقال النّاسُ: يا رسول الله هذا راكب مقبلٌ. فقال رسول الله، (ﷺ): كن أبا خَيْثمة. فقالوا: هو والله أبو خَيْثمة. وأتى رسول الله، (ﷺ)، فأخبره بخبره، فدعا له.

وكان رسول الله، (ﷺ)، حين مرّ بالحِجْر، وهو بطريقه، وهو منزل ثمود، قال لأصحابه: لا تشربوا من هذا الماء شيئًا ولا تتوضّأوا منه، وما كان من عجين فألقوه واعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئًا، ولا يخرج اللّيلة أحد إلّا مع صاحب له. ففعل ذلك النّاسُ ولم يخرج أحدٌ إلّا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته فأصابه جنون، وأمّا الذي طلب بعيره فاحتمله الريح إلى جبلَيْ طيّئ، فأُخبر بذلك رسول الله، (ﷺ)، فقال: ألم أنهَكم أن لا يخرج أحد إلّا مع صاحب له؟ فأمّا الذي خُنق فدعا له فشفي، وأمّا الذي حملته الريح فأهدته طيّئ إلى رسول الله بعد عوده إلى المدينة. وأصبح النّاس بالحِجر ولا ماء معهم، فشكوا ذلك إلى النبيّ، (ﷺ)، فدعا اللهَ فأرسل سحابةً فأمطرت حتى روي النّاسُ.

وكان بعض المنافقين يسير مع رسول الله، (ﷺ)، فلمّا جاء المطر قال له بعض المسلمين: هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارّة.

وضلّت ناقةُ رسول الله، (ﷺ)، في الطريق فقال لأصحابه، وفيهم عُمارة بن حَزْم، وهو عقبيّ بدريّ: إنّ رجلًا قال إنّ محمّدًا يُخبركم الخبر

من السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي والله لا أعلم إلّا ما علّمني الله عزّ وجلّ، وهي في الوادي في شِعب كذا قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا فأتوه بها، فرجع عُمارة إلى أصحابه فخبّرهم بما قال رسول الله، (ﷺ)، عن النّاقة تعجّبًا ممّا رأى. وكان زيد بن لُصَيْت القَيْنُقاعيّ منافقًا وهو في رحل عُمارة قد قال هذه المقالة، فأُخبر عُمارة بأنّ زيدًا قد قالها، فقام عُمارة يطأ عنقه وهو يقول: في رحلي داهية ولا أدري! اخرجْ عني يا عدوّ الله! فزعم بعضُ النّاس أنّ زيدًا تاب بعد ذلك وحَسُن إسلامُه، وقيل: لم يزلْ متّهمًا حتى هلك.

ووقف بأبي ذَرّ جمله فتخلّف عليه، فقيل: يا رسول الله تخلّف أبو ذرّ. فقال: ذروه فإن يكُ فيه خير فسيُلْحقه اللهُ بكم، فكان يقولها لكلّ مَنْ تخلّف عنه، فوقف أبو ذرّ على جمله، فلمّا أبطأ عليه أخذ رحله عنه وحمله على ظهره وتبع النبيّ، (ﷺ)، ماشيًا. فنظر النّاسُ فقالوا: يا رسول الله هذا رجل على الطريق وحده. فقال رسول الله، (ﷺ)؛ كنْ أبا ذرّ. فلمّا تأمّله النّاسُ قالوا: هو أبو ذرّ. فقال رسول الله، (ﷺ): يرحم الله أبا ذرّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَثَ وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين.

فلمّا نفى عثمان أبا ذرّ إلى الرَّبَذة أصابه بها أجله ولم يكن معه إلّا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن يغسلاه ويكفّناه ثمّ يضعاه على الطريق، فأوّل ركب يمرّ بهما يستعينان بهم على دفنه؛ ففعلا ذلك، فاجتاز بهما عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق، فأعلمته امرأة أبي ذرّ بموته. فبكى ابن مسعود وقال: صدق رسول الله، (ﷺ)، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبْعَث وحدك، ثمّ واروه.

وانتهَى رسول الله، (ﷺ)، إلى تبوك، فأتَى يوحنّا بن رُؤبة صاحب

أيْله فصالحه على الجزية وكتب له كتابًا، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، ثمّ زاد فيها الخلفاء من بني أُميّة. فلمّا كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة، وصالح أهل أذْرُح على مائة دينار في كلّ رجب، وصالح أهل جَرْباء على الجزية، وصالح أهل مَقْنا على ربع ثمارهم.

وأرسل رسول الله، (ﷺ)، خالد بن الوليد إلى أُكَيْدر بن عبد الملك صاحب دُومة الجندل، وكان نصرانيًا من كِندة، فقال لخالد: إنّك تجده يصيد البقر. فخرج خالد بنُ الوليد حتى إذا كان من حصنه على منظر العين وكيدر على سطح داره فباتت البقر تحكّ بقرونها باب الحصن، فقالت امرأته: هل رأيتَ مثل هذا قطّ؟ قال: لا والله، ثمّ نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته، ثمّ خرج بطلب البقر، فتلقّتهم خيل رسول الله، (ﷺ)، وأخذته وقتلوا أخاه حسّانًا، وأخذ خالد من أكيدر قباء ديباج مُخوّص بالذهب فأرسله إلى رسول الله، (ﷺ)، فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجّبون منه. فقال رسول الله، (ﷺ): أتعجبون من هذا؟ لمناديل سعد ابن مُعاذ في الجنّة أحسن من هذا. وقدم خالد بأكيدر على رسول الله، (ﷺ)، فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلّى سبيله.

وأقام رسول الله، (ﷺ)، بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها، ولم يقدم عليه الروم والعرب المتنصّرة، فعاد إلى المدينة. وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل لا يروي إلّا الراكب والراكبَين بوادٍ يقال له وادي المُشقّق، فقال رسول الله، (ﷺ): مَنْ سبَقنا فلا يستقينّ منه شيئًا حتى نأتيه، فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلمّا جاءه رسول الله، (ﷺ)، أخبروه بفعلهم، فلعنهم ودعا عليهم، ثمّ نزل رسول الله، (ﷺ)، إليه فوضع يده تحته وجعل يصبّ إليها يسيرًا من الماء، فدعا فيه ونضحه في الوشل،

فانخرق الماء جريًا شديدًا، فشرب النّاس واستقوا. وسار رسول الله، (ﷺ)، حتى قارب المدينة، فأتاه خبر مسجد الضِّرار، فأرسل مالك بن الدُّخْشُم فحرقه وهدمه، وأنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤمِنِينَ﴾[1] الآيات. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً، وكان قد أُخرج من دار خِذام بن خالد من بني عمرو بن عوف. وقدم رسول الله، (ﷺ)، وكان قد تخلّف عنه رهط من المنافقين، فأتوه يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله، (ﷺ)، ولم يعذرهم اللهُ ورسوله، وتخلّف أولئك النفر الثلاثة، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أميّة، ومُرارة بن الربيع، تخلّفوا من غير شكّ ولا نفاق، فنهَى رسول الله، (ﷺ)، عن كلامهم، فاعتزلهم النّاسُ، فبقوا كذلك خمسين ليلة، ثمّ أنزل الله توبتهم: ﴿وَعَلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتّى إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْض بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أنفُسُهُمْ﴾ الآيات، إلى قوله: ﴿صَادِقِينَ﴾[2]، وكان قدوم رسول الله، (ﷺ)، المدينةَ من تَبوك في رمضان.

* * *

(١) سورة التوبة: آية ١٠٧.

(٢) سورة التوبة: آية ١١٨.

الفصل الرابع والثلاثون:

غزوة طيّئ[1]

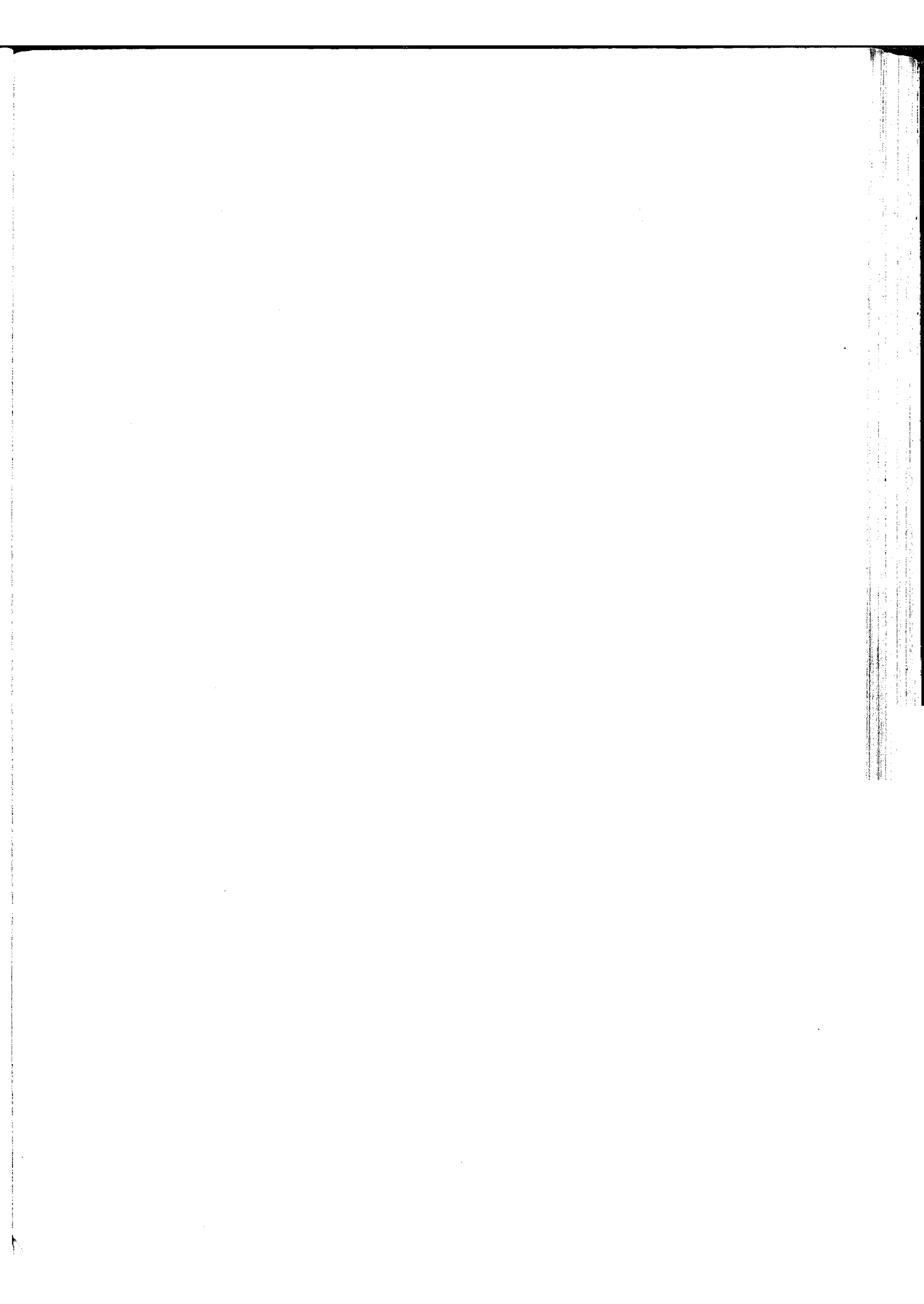
في هذه السنة في شهر ربيع الآخر أرسل النبيّ، (ﷺ)، عليّ بن أبي طالب في سريّة إلى ديار طَيّئ وأمره أن يهدم صنمهم الفلس، فسار إليهم وأغار عليهم، فغنم وسَبَى وكسر الصنم، وكان متقلّدًا سيفَين يقال لأحدهما مخذَم وللآخر رَسُوب، فأخذهما عليّ وحملهما إلى رسول الله، (ﷺ)، وكان الحارث بن أبي شِمْر أهدى السّيفَين للصّنم، فعُلّقا عليه، وأسر بنتًا لحاتم الطائيّ، وحُملت إلى رسول الله، (ﷺ)، بالمدينة فأطلقها.

وأمّا إسلام عديّ بن حاتم فقال عديّ: جاءت خيل رسول الله، (ﷺ)، فأخذوا أختي وناسًا فأتوا بهم رسول الله، (ﷺ)، فقالت أختي: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامننْ عليّ منّ اللهُ عليك. فقال: ومَنْ وافدك؟ قالت: عديّ بن حاتم. قال: الذي فرّ من الله ورسوله! فمنّ عليها، وإلى جانبه رجل قائم وهو عليّ بن أبي طالب، قال: سليه حُملانًا. فسألته، فأمر لها به وكساها وأعطاها نفقة. قال عديّ: وكنتُ ملك طيّئ آخذ منهم المِرْباع وأنا نصرانيّ، فلمّا قدمت خيل رسول الله، (ﷺ)، هربتُ إلى الشام من الإسلام وقلتُ أكون عند أهل ديني، فبينا أنا بالشام إذ جاءت أختي وأخذت تلومني على تركها وهربي بأهلي دونها، ثمّ قالت لي: أرى

(١) انظر:
- الكامل في التاريخ ٢/ ٢٨٥-٢٨٦.

أن تلحق بمحمّد سريعًا فإن كان نبيًّا كان للسابق فضله، وإن كان ملكًا كنتَ في عزّ وأنت أنت. قال: فقدمتُ على رسول الله، (ﷺ)، فسلّمتُ عليه وعرّفتُهُ نفسي، فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفَتْهُ، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها، فقلت: ما هذا بملِك، ثمّ دخلتُ بيته فأجلسني على وسادة وجلس على الأرض، فقلتُ في نفسي: ما هذا ملك. فقال لي: يا عديّ إ نّك تأخذ المرباع وهو لا يحلّ في دينك، ولعلّك إنّما يمنعك من الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدوّنا، والله ليفيضنّ المال فيهم حتى لا يوجد مَنْ يأخذه، ووالله لتسمعنّ بالمرأة تسير من القادسيّة على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلّا الله، ووالله لتسمعنّ بالقصور البيض من بابل وقد فُتحت. قال: فأسلمتُ، فقد رأيتُ القصور البيض وقد فُتحت، ورأيتُ المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلّا الله، ووالله لتكوننّ الثالثة ليفيضنّ المال حتى لا يقبله أحد.

* * *



فهرس المحتويات

صدر في هذه السلسلة

١ - وصايا الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين.

٢ - رسائل الرسول (ﷺ).

٣ - خطب الرسول (ﷺ).

٤ - نساء الرسول (ﷺ) وأولاده.

٥ - غزوات الرسول (ﷺ).



